سمع الله لمن حمده

التوحيد

العدد ٦٤٩ السنة الخامسة والخمسون - محرم ١٤٤٧ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

التَّعَوُّذ من سُوءِ الفِتَن

عام هجري مبارك

١٤٤٧ هـ

نهاية عام .. وقفة محاسبة

مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جمعية أنصار السنة المحمدية
العدد ٦٤٩ السنة الخامسة والخمسون - محرم ١٤٤٧ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

بسم الله الرحمن الرحيم

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام على مجلة التوحيد فضيلة الشيخ
أحمد يوسف عبد المجيد

فاعلم أنه لا إله إلا الله

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

الاشتراك السنوي

١- في الداخل سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنويًا.
للتواصل: واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٨٢٣٢

٢- في الخارج ما يعادل ٨٠ دولاراً أو ٤٠٠ ريال سعودى بالجنيه المصري.

السلام عليكم

فبمَا كسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ

إن من أعظم ما يتقرب به المؤمنون إلى ربهم تجريد التوحيد، والبراءة من الشرك وأهله، ومن صور ذلك: دعاء الله وحده لا شريك له، وإن إبراهيم عليه السلام قد تبرأ من قومه إعلاء لشأن التوحيد والخلاص من الشرك ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ (مريم: ٤٨، ٤٩)، وقد كان المشركون قديماً يشركون بالله في الرخاء فإذا كانت الشدة جردوا لله التوحيد في الدعاء، قال الله تعالى واصفًا حالهم: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ (الإسراء: ٦٧) فإذا كان هذا حال مشركي الجاهلية فإن بعض مشركي زماننا يشركون في الرخاء والشدة ويطلبون النصر والعون من غير الله، وإنما يكون تأييد الله لأوليائه من أهل التوحيد وليس غيرهم.

قال ابن القيم في (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان) (٢/ ١٨٢):

«النصر والتأييد الكامل إنما هو لأهل الإيمان الكامل.

فمن نقص إيمانه نقص نصيبه من النصر والتأييد.

فاللهم ردنا إليك ردًا جميلاً، وانصر الإسلام وأهله.

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٥١ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٥١ سنة كاملة

رئيس التحرير

مصطفى خليل أبو المعاطي

فهرس العدد

سمع الله لمن حمده — الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد ٢
باب التفسير — د. عبد العظيم بدوي ٥
باب العقيدة — د. عبد الله شاكر ٨
لعلكم تُرحمون — د. محمد حامد ١١
التعوذ من سوء الفتن — د. جمال المراكبي ١٧
دراسات قرآنية — الشيخ مصطفى البصراتي ٢١
نهاية عام.. وقفة محاسبة
الشيخ عبده أحمد الأقرع ٢٤
واحة التوحيد — د. علاء خضر ٢٨
المعيار — د. أحمد بن سليمان أيوب ٣٠
الحوار وتنمية الأمن الفكري لدى الشباب
د. محمد محمود العطار ٣٤
تحذير الداعية من القصص الواهية
الشيخ علي حشيش ٣٦
خواطر حول الهجرة — الشيخ إبراهيم حافظ رزق ٤٠
الألفاظ الموهمة في باب الصفات بين الإجمال والاستفصال
د. محمد عبد العليم الدسوقي ٤٣
ما أهون الخلق على الله إذا خالفوا أمره
د. محمد عبد العزيز ٤٧
تعلمت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
د. جمال عبد الرحمن ٥٢
تقوى الله طريق النجاة — الشيخ صلاح نجيب الدق ٥٥
نظرات في حياة شيخ الإسلام ابن تيمية
د. السيد عبد الحليم محمد ٥٨
رد شبهة اللئيم عن النبي الكريم — د. سيد عبد العال ٦١

رئيس التحرير التنفيذي:

حسين عطا القراط

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريالا ، الإمارات ١٢ درهمًا ، الكويت ١ دينار ، المغرب دولاران أمريكيان ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريالا ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولارات، أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير ‖
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني ‖
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

١٢٠٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

سمع الله لمن حمده

إعداد **الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد**

الرئيس العام

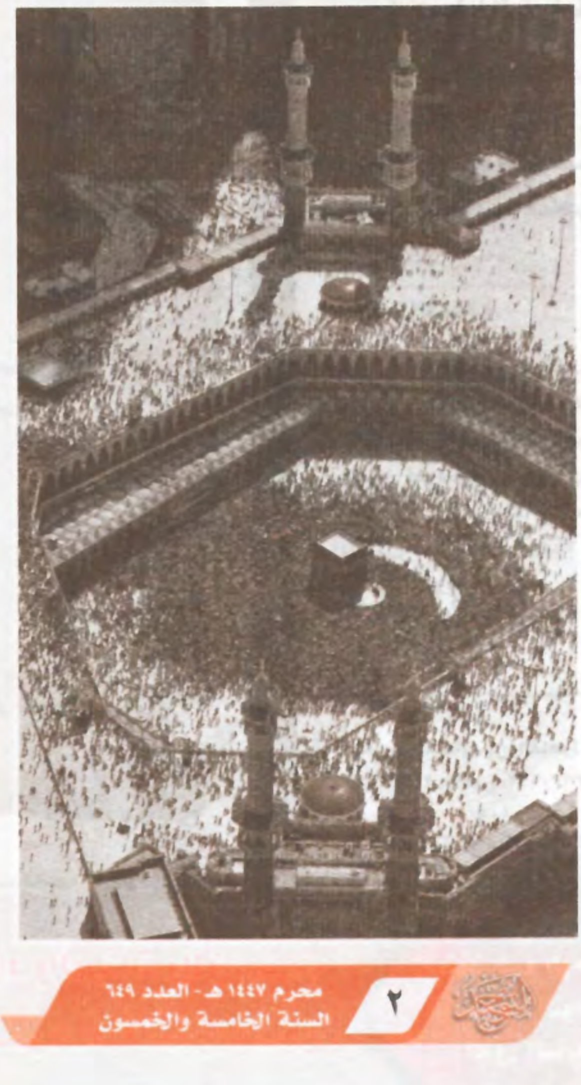

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الحامدين الشاكرين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الصلاة عماد الدين، تُفتَتح بالتكبير وتُسمَّى تكبيرة الإحرام وما عداها من تكبيرات يقال لها تكبيرات الانتقال غير أن الذِّكر الوارد في الانتقال من الركوع إلى القيام هو (سمع الله لمن حمده).

وليس المقام هنا مقام عرض آراء الفقهاء فيما يتعلق بالتسميع (سمع الله لمن حمده) والتحميد (ربنا ولك الحمد)، غير أنني أختار القول بأن الإمام والمنفرد كلاهما يقول (سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد)؛ لما ورد في الصحيح من حديث سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه حذو منكبيه إذا افتتح الصلاة، وإذا كبّر للركوع، وإذا رفع رأسه من الركوع رفعهما أيضًا، ويقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد.

وفي الصحيح من حديث عبد الله بن عمر قال: رأيت النبي صلى فافتتح الصلاة بالتكبير، فرفع يديه حين يكبر حتى يجعلهما حذو منكبيه، وإذا كبَّر للركوع فعل مثله، وإذا قال (سمع الله لمن حمده) فعَل مثله، وقال: (ربنا ولك الحمد)، ولا يفعل ذلك حين يسجد ولا حين يرفع رأسه من السجود.

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قال: (سمع الله لمن حمده) قال: «اللهم ربنا ولك الحمد». أما المأموم: فإن جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والحنابلة على أنه يقتصر على التحميد دون التسميع؛ وذلك لحديث أنس بن مالك في الصحيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنما جعل الإمام ليُؤتم به، فإذا كبَّر فكبروا، وإذا ركع فاركعوا، وإذا سجد فاسجدوا، وإذا قال سمع الله لمن حمده، فقولوا: ربنا ولك الحمد». وفي رواية أبي هريرة: "وإذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا: اللهم ربنا ولك الحمد".

كما أنه يُشرع للمصلي أن يزيد على التحميد لما ورد في الصحيح من حديث رفاعة بن رافع الزرقي قال: كنا يومًا نصلي وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركعة، قال: «سمع الله لمن حمده». فقال رجل وراءه: «ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه». فلما انصرف قال: «مَن المتكلم»؟ قال: أنا، قال صلى الله عليه وسلم: «رأيت بضعة وثلاثين مَلكًا يبتدرونها أيهم يكتبها أولًا».

> فيا عبد الله: كن حامدًا لربك في كل وقتك ليرضى الله عنك.

وفي هذا الذكر من الفوائد الكثير: أولها إثبات صفة السمع لله تعالى، وليس سمعه سبحانه كسمع غيره: «لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ» (الشورى: ١١)، فسمعه سبحانه وتعالى على ما يليق به تعالى بلا تكييف ولا تشبيه، ولا تأويل ولا تعطيل، فالسر والجهر عنده سواء «سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ» (الرعد: ١٠)، وقد ورد في مسند الإمام أحمد من حديث عروة بن الزبير رضي الله عنهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المُجادلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تكلّمه، وأنا في ناحية البيت، ما أسمع ما تقول؛ فأنزل الله عز وجل: «قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا» (المجادلة:١).

ومن فوائد هذا الذكر (سمع الله لمن حمده) بيان فضل الحمد، والحمد كما قال صاحب لسان العرب هو نقيض الذم، والحمد يكون عن يد وعن غير يد، والشكر لا يكون إلا عن يد، والحمد قد يكون شكرًا للصنيعة، ويكون ابتداءً للثناء على الرجل، ويكون شكرًا لنعمه التي شملت الكلَّ، والحمد أعمّ من الشكر والإنسان مهما بلغ لا يستطيع حمد الله تعالى بما يليق به سبحانه، لذلك حمد نفسه؛ فقال «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ» (الفاتحة: ٢)، وأعرف الناس بالله تعالى هو خاتم الأنبياء والمرسلين كان يُثني على ربه بكثرة حمده سبحانه كما جاء في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله

عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال: «اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيّم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق والنبيون حق، ومحمد صلى الله عليه وسلم حق، والساعة حق...».

وتوحيد الله تعالى والهداية إليه هي من أعظم النعم التي تَستحق حمد الله تعالى، لذا قال تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: « وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا » (الإسراء: ١١١)، قال الطبري رحمه الله: «وقل يا محمد: الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا»: فيكون مربوبًا لا ربًّا؛ لأن رب الأرباب لا ينبغي أن يكون له ولد.

> توحيد الله تعالى والهداية إليه هي من أعظم النعم التي تستحق حمد الله تعالى.

(ولم يكن له شريك في الملك)، فيكون عاجزًا إذا احتاج إلى معونة غيره ضعيفًا، ولا يكون إلهًا من يكون محتاجًا إلى معين على ما حاول، ولم يكن منفردًا بالملك والسلطان، (ولم يكن له ولي من الذل)، ولم يكن له حليف حالفه من الذل الذي به؛ لأن مَن كان ذا حاجة إلى غيره فذليل مهين، ولا يكون مَن كان ذليلًا مهينًا يحتاج إلى ناصر إلهًا يطاع.

وفي قوله تعالى: « هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ » (غافر: ٦٥)، قال الطبري رحمه الله: وكان جماعة من أهل العلم يأمرون مَن قال لا إله إلا الله، أن يتبع ذلك (الحمد لله رب العالمين).

وتتوالى نعم الله على عباده: « وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ » (النحل: ٥٣). فنعمة الذرية يحمد العبد ربه عليها كما قال خليل الرحمن إبراهيم: « ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ » (إبراهيم: ٣٩).

والحمد لله كلمة تخرج من القلب الشاكر الموحد « وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ » (النمل: ١٥)، « فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ » (المؤمنون: ٢٨).

فيا عبد الله: كن حامدًا لربك في كل وقتك ليرضى الله عنك؛ حتى عند فراغك من طعامك، فقد ثبت في صحيح مسلم، من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب شربة فيحمده عليها».

فالعبد الحامد لربه ليجد آثار ذلك كمثاقيل الذرّ في صحائفه، ففي صحيح مسلم من حديث أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان وسبحانه الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض».

فليحمد العبد ربه على كل حال في السراء والضراء والسر والعلن ، فقد كان هذا دأب النبي صلى الله عليه وسلم.

فاللهم اجعلنا من عبادك الحامدين الشاكرين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سورة الأحزاب

قال الله تعالى: « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا » (الأحزاب: ٢١).

إعداد **د. عبدالعظيم بدوي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

٦- الأُسْوَةُ الحَسَنَةُ في الرِّفْقِ بالجاهلين:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه- قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- ثُمَّ ضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ) (صحيح البخاري ٥٨٠٩).

٧- الأُسْوَةُ الحَسَنَةُ في مُعَامَلَةِ الْجِيرَانِ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: (مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ) (صحيح البخاري: ٦٠١٤).

وَعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ -رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ) (صحيح مسلم: ٤٨).

وَكَانَ -صلى الله عليه وسلم- يَنْهَى عَنْ أَذَى الْجَارِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤْذِ جَارَهُ) (صحيح البخاري ٦٠١٨).

٨- الأسوة الحسنة في معاملة الناس:

فَلَقَدْ بَاعَ وَاشْتَرَى، وَكَانَ -صلى الله عليه وسلم- سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى، وَكَانَ إِذَا اسْتَسْلَفَ سَلَفًا وَفَّى خَيْرًا مِنْهُ، وَكَانَ إِذَا اسْتَسْلَفَ مِنْ رُجُلٍ سَلَفًا قَضَاهُ إِيَّاهُ وَدَعَا لَهُ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيُّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- اسْتَلَفَ مِنْهُ حِينَ غَزَا حُنَيْنًا ثَلاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَلَمَّا قَدِمَ قَضَاهَا إِيَّاهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: (بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ الْوَفَاءُ وَالْحَمْدُ) (صحيح سنن ابن ماجه: ١٩٦٨).

٩- الأسوة الحسنة في الجود والكرم:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنه- قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ) (صحيح مسلم ٢٣٠٨).

وَكَانَ يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لا يَخْشَى الْفَقْرَ، (وَمَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ لا) (صحيح البخاري ٦٠٣٤).

١٠- الأسوة الحسنة في الزهد في الدنيا:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه- قَالَ: نَامَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوِ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً. فَقَالَ: (مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا! مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا) (صحيح الترمذي: ٢٣٧٧). (وَكَانَ يَمُرُّ الْهِلالُ، ثُمَّ الْهِلالُ، ثُمَّ الْهِلالُ، ثَلاثَةُ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا يُوقَدُ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- نَارٌ، إِنَّمَا هُمَا الأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ). (صحيح البخاري ٦٤٥٩).

١١- الأسوة الحسنة في التواضع:

عَنْ أَنَسٍ -رضي الله عنه- قَالَ: (إِنْ كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ) (صحيح البخاري ٦٠٧٢). وَعَنْهُ -رضي الله عنه- قَالَ: لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا، لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهِيَتِهِ لِذَلِكَ (صحيح الترمذي: ٢٧٥٤).

١٢- الأسوة الحسنة في الشجاعة:

عَنْ أَنَسٍ -رضي الله عنه- قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً فَخَرَجُوا نَحْوَ الصَّوْتِ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ -صلى

الله عليه وسلم- وَقَدِ اسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ، وَهُوَ يَقُولُ: (لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا) (صحيح البخاري ٢٩٠٨). ويومَ حُنَيْنٍ لَمَّا فاجأ الْمُشْرِكُونَ الْمُسْلِمِينَ فَتَفَرَّقُوا، وَفَرُّوا هَارِبِينَ، ثَبَتَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ وَهُوَ يَقُولُ: (أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ) (صحيح البخاري: ٢٨٧٤).

١٣ - وهو -صلى الله عليه وسلم- الأسوة الحسنة في السلم والحرب، واحترام العهود والمواثيق، والوفاء بها:

دَخَلَ الْمَدِينَةَ رَافِعًا رَايَةَ السَّلَامِ، دَخَلَ يَقُولُ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ) (صحيح ابن ماجه: ٢٦٣٠).

وَبِالْجُمْلَةِ فَهُوَ -صلى الله عليه وسلم- الأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَالصُّورَةُ الْحَيَّةُ لِلشَّخْصِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ كَمَا أَرَادَهَا اللهُ، وَحَسْبُنَا قَوْلُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَقَدْ سُئِلَتْ عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-، فَقَالَتْ لِلسَّائِلِ: (أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- كَانَ الْقُرْآنَ) (صحيح مسلم: ٧٤٦).

لا جَرَمَ أَمَرَنَا اللهُ بِالتَّأَسِّي بِهِ -صلى الله عليه وسلم-، وَجَعَلَ التَّأَسِّيَ بِهِ مِنْ خَصَائِصِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ: « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا ».

فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ الرَّاجِي عَفْوَ رَبِّهِ، إِنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، مُنَزَّهٌ عَلَى كُلِّ نَقْصٍ، مُبَرَّأٌ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، مَعْصُومٌ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، وَقَدْ شَهِدَ لَهُ رَبُّهُ بِالْعِصْمَةِ مِنَ الزَّيْغِ وَالانْحِرَافِ وَالْغَيِّ وَالضَّلَالِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: « وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى » (النجم: ١ - ٢)، وَالضَّلَالُ نَتِيجَةُ الْجَهْلِ، وَالْغَيُّ نَتِيجَةُ اتِّبَاعِ الْهَوَى الَّذِي يَقْتَضِي مُخَالَفَةَ الْعِلْمِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ يُبَرِّئُ نَبِيَّهُ -صلى الله عليه وسلم- مِنَ الضَّلَالِ وَالْغَيِّ، فَيَشْهَدُ لَهُ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ مَعًا، مِمَّا يَجْعَلُ الْمُتَأَسِّيَ بِهِ دَائِمًا وَاثِقًا مُطْمَئِنًّا أَنَّهُ لَنْ يَزِلَّ وَلَنْ يَخْزَى.

وَأَمَّا غَيْرُ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَعِلْمُهُ قَلِيلٌ، وَقَدْ يَكُونُ عَمَلُهُ أَقَلَّ، وَهُوَ عُرْضَةٌ لِلْخَطَأِ وَالزَّلَلِ، وَعُرْضَةٌ لِغَلَبَةِ الْهَوَى، فَمَنْ تَأَسَّى بِهِ لَمْ يَكُنْ وَاثِقًا وَلَا مُطْمَئِنًّا، لِأَنَّهُ تَأَسَّى بِغَيْرِ الْمَعْصُومِ.

فَهَيَّا بِنَا جَمِيعًا لِنَتَأَسَّى بِالْمَعْصُومِ -صلى الله عليه وسلم-، فَنَكُونَ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ أَنَّنَا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ » (المائدة: ١٥- ١٦).

والحمد لله رب العالمين.

وجوب اتباع السلف الصالح ولزوم مذهبهم

د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان. وبعد: فقد بيّنا في المقال السابق وجوب التزام جماعة المسلمين وإمامهم وذم الفرقة والاختلاف فيما بين المسلمين وبعضهم البعض، وكذلك بينهم وبين حُكامهم لما له من آثار سيئة في إضعاف الأمة وجرأة أعدائها عليها. لذا كان جمْع الناس حول العقيدة الصحيحة والمنهج القويم من أهم أسباب تماسك الأمة وترابطها، ولن يكون هذا إلا باتباع منهج السلف الصالح ولزوم مذهبهم.

(أ) الأدلة على وجوب اتباع السلف الصالح، ولزوم مذهبهم:

هناك أدلة كثيرة من القرآن والسنة ومن أقوال السلف الصالح توجب اتباع مذهب السلف، منها:

قال الله تعالى: «وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا» (النساء: ١١٥). أوجب علينا الحق -تبارك وتعالى- اتباع سبيل المؤمنين؛ وقوله سبحانه وتعالى: «وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ» (التوبة: ١٠٠)؛ فوعد تعالى مَن اتَّبع غير سبيلهم بعذاب جهنم، ووعد متَّبعهم بالجنة والرضوان؛ ويجب على عموم المسلمين أن يفهموا ذلك؛ أن الذي يتبع غير سبيل المؤمنين -وسلفنا الصالح على رأس المؤمنين- مُتوعَّد بعذاب الله تبارك وتعالى.

ومن لزم مذهبهم وسار في ركابهم فالله عز وجل قد أثنى عليه في كتابه ووعده بالرضا والرضوان والجنة كما ذكرت الآيات.

كما تلزمنا السنة باتباع سلفنا الصالح:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»؛ فشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيرية والأفضلية لهؤلاء السلف؛ شهد لقرنه ولقرنين بعد قرنه، شهد لهم بالفضل والخير صلى الله عليه وسلم.

كما جاء في وصف الفرقة الناجية في حال الافتراق في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما أنا عليه

اليوم وأصحابي»؛ فمُتَبعهم إذن يكون من الفرقة الناجية؛ لأنه موعود بذلك، ومخالفهم يكون من أهل الوعيد.

وأما ما ورد من أقوال عن السلف الصالح في وجوب اتباع منهج السلف، ولزوم مذهبهم فكثير؛

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كُفيتم». وعنه أيضًا أنه قال: «إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع؛ ولن نضل ما تمسكنا بالأثر».

وقال الأوزاعي -رحمه الله-: «اصبر نفسك على السنة؛ وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكفَّ عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم».

(ب) اهتمام العلماء بعقيدة السلف الصالح:

لقد كان لأئمة أهل السنة والجماعة عناية كبيرة واهتمام بالغ بعقيدة السلف الصالح، فألفوا الكتب الكثيرة في بيانها وإيضاحها من جهة، وفي الرد على أعدائها ومخالفيها من شتى الطوائف والفرق من جهة أخرى، ومذهب السلف وعقيدتهم إنما يُعرَف بالنقل عنهم لا بمجرد الزعم والتخرُّص كما هو حال بعض أهل البدع.

والعلماء حينما دوَّنوا عقيدة السلف إنما دوَّنوها مسندةً، وذكروا ألفاظهم في ذلك بالأسانيد المعتبرة؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تبارك وتعالى-: ومن المعلوم أن مذهب السلف إن كان يعرف بالنقل عنهم، فليرجع في ذلك إلى الآثار المنقولة عنهم، وإن كان يعرف بالاستدلال المحض، بأن يكون كل مَن رأى قولًا عنده هو الصواب قال: هذا هو قول السلف؛ لأن السلف لا يقولون إلا الصواب، وهذا هو الصواب؛ فهذا هو الذي يجرئ المبتدعة على أن يزعم كل منهم أنه على مذهب السلف؛ فقائل هذا القول قد عاب نفسه بنفسه؛ حيث انتحل مذهب السلف بلا نقل عنهم؛ بل بدعواه أن قوله هو الحق. وأما أهل الحديث؛ فإنما يذكرون مذهب السلف بالنقول المتواترة، يذْكُرون من نقل مذهبهم من علماء الإسلام، وتارةً يروون نفس قولهم في هذا الباب؛ كما سلكناه في جواب الاستفتاء؛ فإنا لما أردنا أن نبين مذهب السلف ذكرنا طريقين.

أحدهما: أنا ذكرنا ما يتيسر من ذكر ألفاظهم، ومن روى ذلك من أهل العلم بالأسانيد المعتبرة.

الثاني: أنا ذكرنا من نقل مذهب السلف من جميع طوائف المسلمين من طوائف الفقهاء الأربعة، ومن أهل الحديث والتصوف، وأهل الكلام كالأشعري وغيره، فصار مذهب السلف منقولًا بإجماع الطوائف وبالتواتر، لم نثبته لمجرد دعوى الإصابة لنا والخطأ لمُخالفنا كما يفعل أهل البدع».

ونلاحظ أن تدوين العقيدة السلفية قد واكب تدوين السنة النبوية سواءً بسواء؛ ومن ثم فإن الذين عُنوا بالسنة وتدوينها هم أول من عُنوا بالعقيدة وتدوينها، وقد لا يَنتبه كثير من أتباع أئمة الفقهاء الأربعة أن لأئمتهم سبقًا في هذا المضمار، وأن ما نُقل عن بعضهم من أقوال أو تأليفات يُعتبر بدايةً لتدوين عقيدة أهل السنة والجماعة؛ لأن أصحاب المذاهب الأربعة -أي: الأئمة الأربعة- كانوا على عقيدة السلف الصالح.

فالإمام مالك -رحمه الله تبارك وتعالى- عقد بابين في كتاب الجامع من «موطنه» عن القدر، وأشار فيهما إلى الرد على القدرية، وللإمام أبي حنيفة -رحمه الله تبارك وتعالى- كتابان في العقيدة هما: (الفقه الأكبر) و(الوصية)، وقد نُقل عن الإمام الشافعي كلام كثير ينتصر فيه لعقيدة أهل السنة والجماعة ويرد به على أهل البدع والأهواء كأهل الكلام ونحوهم.

أما أبرز الأئمة الأربعة والذي كان لهم باع في نصرة عقيدة أهل السنة والجماعة والدفاع عنها، وتحمَّل في سبيلها الأذى والمحَن؛ فهو الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله تبارك وتعالى-، وله عدة كتب خاصة في العقيدة إلى جانب ما دوَّنه في «مسنده»، وأهمّ هذه

الكتب: (السنة) و(الإيمان) و(الرد على الزنادقة والجهمية) و(فضائل الصحابة)؛ كما أن له مسائل في العقيدة دوّنها تلاميذه.

ثم يأتي دور بقية أئمة الحديث الذين دوّنوا السنة النبوية وفي مقدمتهم: الإمام البخاري -رحمه الله تبارك وتعالى-، الذي أفرد في «صحيحه» أبوابًا مهمة في العقيدة، أهمها: (كتاب الإيمان)، و(كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة)، و(كتاب التوحيد)؛ كما أن له كتبًا أخرى مستقلة أفردها في بيان العقيدة الصحيحة والرد على مخالفيها، وأهم هذه الكتب كتاب: (الاعتصام بالكتاب والسنة) و(خلق أفعال العباد).

ثم يأتي بعد ذلك دور الإمام مسلم -رحمه الله- الذي خصّص هو الآخر أبوابًا في «صحيحه» لتقرير العقيدة الصحيحة، والرد على من خالفها، ومن ذلك كتاب: (الإيمان)، وكتاب: (القدر)؛ وكذا فعل الإمام الترمذي.

أما الإمام ابن ماجه -رحمه الله- فقد افتتح «سُننه» بمقدمة، ذكر فيها الرد على مَن خالف السنة وعقيدة السلف الصالح، وفعل مثله الإمام أبو داود؛ حيث جعل في آخر سننه كتابًا أسماه كتاب: (السُّنة) ردّ فيه على أهل البدع بمختلف طوائفهم وفِرَقهم، ولا يظن بأصحاب الحديث وأهل الفقه فيه كالبخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة أن يكونوا على غير عقيدة أهل السنة والجماعة.

(جـ) فضل علم السلف على علم الخلف:

لقد كانت عناية سلفنا الصالح بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم كبيرة جدًا، وهم -مع هذا- كانوا يحافظون على صفاء ونقاء هذين المصدرين العظيمين؛ فلم يخلطوهما بغيرهما من الشوائب التي تُكدّر صفوهما، وكان أكبر اهتمامهم هو دراسة هذين المصدرين وتدبُّرهما، وتفهُّم معانيهما، واستنباط الأحكام منهما، ثم تطبيق ذلك في واقع حياتهم؛ ولذلك كان كلامهم في تفسير كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكانت مؤلفاتهم في علوم القرآن والسنة وخدمتها.

وكانوا يكرهون الجدل والمراء والخصومات، ولا يتكلمون فيما ليس تحته عمل، وكان لهم موقف حازم من العلوم الحادثة -ونعني بها: الطارئة-، التي أدخلها الفلاسفة والمتكلمون على الدين، ولم يختلف رأيهم في نبذها ومحاربتها وتحذير الناس منها؛ لذلك مَن أراد العلم النافع فليأخذه من كتب السلف الصالح ومصنفاتهم.

يقول ابن رجب -رحمه الله-: «فالعلم النافع من هذه العلوم كلها ضبط نصوص الكتاب والسنة، وفهم معانيها، والتقيُّد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم، في معاني القرآن والحديث، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام، والرقائق والمعارف وغير ذلك، والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمة أولًا، ثم الاجتهاد على الوقوف على معانيه وتفهُّمه ثانيًا، وفي ذلك كفاية لمن عَقل وشُغل لمَنْ بالعلم النافع عُني واشتَغل، ومن وقف على هذا وأخلص القصد فيه لوجه الله عز وجل واستعان عليه أعانه وهداه ووفقه وسدّده وفهّمه وألهمه، وحينئذ يُثمر هذا العلم ثماره الخاصة به، وهي خشية الله -تبارك وتعالى- كما قال عز وجل: «وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ» (فاطر: ٢٨).

وهذه كلمات جليلة عظيمة القدر من هذا الإمام العظيم الذي يعرف أهمية كتب السلف وقدْرها، وقد حث -رحمه الله- على لزوم هذه الكتب والأخذ منها.

والحمد لله رب العالمين.

لعلكم تُرحمون: ستة أسباب لنَيْل رحمة الوهاب

أ . د محمد حامد
الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: ففي القرآن الكريم آيات جليلة خُتمت بجُمل عظيمة افتتاحها بـ كلمة (لعلَّ) مثل: «لعلكم تتقون»، «لعلكم تفلحون»، «لعلكم تُرحمون»، «لعلكم تهتدون»، «لعلكم تشكرون»، «لعلكم تعقلون»، «لعلكم تتفكرون»، «لعلكم تذكرون»، وهذه الجُمل القرآنية جديرة بالتأمل، حقيقة بالتدبر، وفي هذا المقال وما يتبعه بإذن الله حديث عنها. وموضوع هذا المقال: "لعلكم ترحمون".

وقبل أن أدلف إلى مواضع ورود هذه الجملة في القرآن الكريم أشير إشارة موجزة إلى أن كلمة "لعلَّ" في مثل هذه الآيات والجمل القرآنية قد اختلف المفسرون في تحديد المراد منها مع اتفاقهم على أن معنى الترجي والتوقع -وهو معنى مشهور في "لعلّ"- لا تصح نسبته إلى الله عز وجلّ؛ لأن الله سبحانه لا يتطرق إلى علمه شك، ولا تخفى عليه خافية، بل هو بكل شيء عليم.

وأشهر الأقـوال في معنى: "لعلَّ" في هذه الجمل والآيات القرآنية قولان لهما ما يؤيدهما:

القول الأول: أن "لعل" هنا بمعنى التعليل فمعنى قوله: "لعلكم تُرحمون"؛ أي: "لِتُرحموا"، ويشهد لذلك أنها عطفت على جمل معللة بلام التعليل كقوله تعالى: "هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"، فعطف قوله تعالى: "وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"، على قوله تعالى: "وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى"، من باب عطف تعليل على تعليل.

ومن استعمال العرب "لعلَّ" في معنى التعليل قول الشاعر:

وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا
نكف ووثقتم لنا كل موثق
فلما كففنا الحرب كانت عهودكم
كلمح سراب في الفلا متألق

يريد بذلك: قلتم لنا كفوا لنكف. وذلك أن لعلَّ في هذا الموضع لو كان شكا لم يكونوا وثقوا لهم كل موثق (تفسير الطبري ٣٨٦/١).

القول الثاني: أن "لعلَّ" تفيد معنى الرجاء والطمع، ولكنه مصروف إلى المخاطبين: فيكون معنى قوله: "لعلكم تُرحمون": أي: وأنتم ترجون وتطمعون في نيل الرحمة وتحصيلها، وكذلك يكون معنى قوله تعالى: "لعلكم تتقون" على رجائكم وطمعكم أن تكون من المتقين وهكذا الأمر في المواضع الأخرى، والله أعلم.

ولتحرير القول في الترجيح بين الأقوال الواردة في معنى "لعل" في هذه الآيات مقام آخر. (ويمكن الرجوع في تحرير هذه المسألة إلى كتاب "الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لآيات القرآن الكريم جمعًا ودراسة د. محمد عبد الله السيف ٤٣٩/١-٤٧٦).

وبعد هذه المقدمة ننتقل إلى الحديث عن قوله تعالى: "لعلكم تُرحمون"؛ وحَريٌّ بك أن تتفطن -أيها اللبيب- إلى أننا نتحدث من خلال هذه الجملة الكريمة المتكررة في القرآن عن أسباب نيل رحمة الله تعالى، ولا شك أننا جميعًا مفتقرون إلى رحمته سبحانه لا غنى لنا عنها، ولا قوام لنا بدونها.

> طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم سبب في حصول الرحمة للعبد في دنياه وأخراه.

وصدق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حين قال لفاطمة رضي الله عنها: "ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به: أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين "(أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠٣٣٠)، والحاكم في مستدركه برقم (٢٠٠٠) وقال: هَذَا حَديثٌ صَحيحٌ عَلى شَرْط الشَّيْخَيْن، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ").

اعلم -أكرمك الله بطاعته- أن هذه الجملة الكريمة «لعلكم ترحمون» قد ذُكرت في ختام ثماني آيات كريمة يمكن أن نستخلص منها أسبابًا يُستعان بها على نيل رحمة الله تعالى، وجدير بالمسلم أن يعتني بها، ويحرص على تحصيلها.

ودونك هذه الأسباب المعينة على نيل رحمة الله -عز وجل- مُستمَدَّة من آيات القرآن الكريم.

أولا: طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

قال الله عز وجلَّ: «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (سورة آل عمران:١٣٢)؛ فطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم سبب في حصول الرحمة للعبد في دنياه وأخراه. وقد قال تعالى أيضًا: «وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (سورة النور:٥٦).

إن العبد إذا كان في طاعة لله ورسوله فإنه في معية الله تعالى، ورحمة الله تحوطه وتغشاه، فيصير العسير عليه ميسورًا، والثقيل عليه

خفيفًا، والشاق عليه رفيقًا، وهكذا في أموره كلها.

وما أجمل هذا الموقف الذي قصَّه علينا حذيفة بن اليمان -رضي الله عنهما- وهو صاحب سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال حذيفة رضي الله عنه: " لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: «قُمْ يَا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ»، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: «اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ»، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ»، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: «قُمْ يَا نَوْمَانُ»(أخرجه مسلم في صحيحه حديث(١٧٨٨)).

وتأمل قوله: " فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ" لتعلم أن العبد إذا كان في طاعة فهو في معية ورحمة ودفء؛ فلما فرغ من أداء المهمة وتنفيذ الأمر عاد له الإحساس بالبرد وهو معنى قوله: "قُررت"، وفي هذا برهان ساطع على بركة الطاعة، وغشيان الرحمة أهلها جعلنا الله من المطيعين له ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

> الواجب على العبد أن يجعل القرآن إمامه: فيتبع تعاليمه، ويعمل بما دعا إليه، ويتقي الله ويخافه ويحذر من مخالفة أوامره.

ثانيا: اتباع القرآن الكريم، واتقاء مخالفته

قال الله عز وجلّ: «وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»؛ ففي هذه الآية الكريم يمتن الله عز وجلّ علينا بإنزال هذا الكتاب المبارك كثير الخيرات، وإذا كان الأمر كذلك فالواجب على العبد أن يجعل هذا الكتاب المبارك إمامه؛ فيتبع تعاليمه، ويعمل بما دعا إليه، ويتقي الله ويخافه ويحذر من مخالفة أوامره أو تعدي حدوده.

قال الطبري في تفسيره (٥/١٠): "يقول: فاجعلوه إمامًا تتبعونه وتعملون بما فيه أيها الناس. «واتقوا» يقول: واحذروا الله في أنفسكم أن تضيعوا العمل بما فيه، وتتعدوا حدوده، وتستحلوا محارمه".

و«اتَّقُوا» في الآية الكريمة الأظهر فيه أنه -كما قال ابن عطية الأندلسي في تفسيره (٣٦٥/٢)-: "أمر بالتقوى

العامة في جميع الأشياء بقرينة قوله «لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»".

قال ابن عاشور: "ومعنى: "اتقوا": كونوا متصفين بالتقوى وهي الأخذ بدين الحق والعمل به. وفي قوله: «لعلكم ترحمون» وعد على اتباعه وتعريض بالوعيد بعذاب الدنيا والآخرة إن لم يتبعوه". (التحرير والتنوير ١٧٩/٨).

فيا أيها الأخ الكريم اجعل القرآن إمامك الذي تأتم به، ومتبوعك الذي تتبعه فإنك إذا فعلت غمرتك الرحمة، وعمّتك الخيرات، وشملتك البركات.

السبب الثالث: الاستماع إلى قراءة القرآن الكريم، والإنصات عند تلاوته لا سيما في الصلاة

قال تعالى: «وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (سورة الأعراف:٢٠٤)

وهذا السبب طريق إلى السبب الذي قبله فإن مَن استمع إلى القرآن، وأنصت إليه فهمه وتدبره، ومن حصل له ذلك فهو على أهبة العمل، وسبيل الاتباع.

والتعبير في الآية الكريمة بالاستماع دون السماع؛ لأن في الاستماع زيادة في المعنى كما أن فيه زيادة في المبنى، وذلك "الاسْتِمَاع هُوَ استفادة المسموع بالإصغاء إلَيْه ليُفهم" قاله أبو هلال العسكري في (الفروق اللغوية ص٨٩).

> **اجعل القرآن إمامك الذي تأتم به، ومتبوعك الذي تتبعه فإنك إذا فعلت غمرتك الرحمة.**

وهذا معناه أن الاستماع يقتضي إقبالاً على المسموع، وقصدًا إلى تفهم المراد منه.

والإنصات هو "السكوت مع الإصغاء إليه لأن ما اشتمل على هذه الأوصاف من البصائر والهدى والرحمة حري بأن يصغى إليه حتى يحصل منه للمنصت هذه النتائج العظيمة وينتفع بها فيستبصر من العمى ويهتدي من الضلال ويرحم بها"(البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٢٦١/٥)).

وقد حمل كثير من أهل التفسير والفقه الآية الكريمة على صلاة المُؤتَم فيستمع لقراءة الإمام، ويُنصت لها، ونسبه النسفي في تفسيره (٦٢٨/١) لجمهور الصحابة رضي الله عنهم.

وقال البيضاوي في تفسيره (٤٧/٣): "وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما -أي: الاستماع والإنصات- حيث يُقرأ القرآن مطلقًا، وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلاة".

وقال ابن عطية في تفسيره (٤٩٤/٢): "وحكم هذه الآية في غير الصلاة على الندب أعني في نفس الإنصات والاستماع إذا سمع الإنسان قراءة كتاب الله عز وجل، وأما ما تتضمنه الألفاظ وتعطيه من توقير القرآن وتعظيمه فواجب في كل حالة".

وحاصل القول: أن الاستماع لقراءة القراءة لا سيما قراءة الصلاة، والإنصات إليه طريق عظيم، وسبيل مبين

لنيل رحمة الله الرحيم.

السبب الرابع: إقامة الصلاة وايتاء الزكاة وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: «وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (سورة النور:٥٦)، ولا يخفى أن إقام الصلاة وايتاء الزكاة داخلان في طاعة الرسول، لكن الله عز وجل خصهما بالذكر تنويها بفضلهما، ولأنهما أعظم الطاعات، وأجلُّ العبادات.

وقد تقدم أن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم سبيل عظيم لنيل رحمة الله عز وجل.

وقد كثر في القرآن الكريم اقتران الزكاة بالصلاة، ومنها هذه الآية الكريمة التي تدلنا على أنهما من أعظم أسباب نيل رحمة الله عز وجل.

قال تعالى: « وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » (سورة التوبة:٧١).

قال الشيخ السعدي في تفسيره ص٤٠:" وكثيرًا ما يجمع تعالى بين الصلاة والزكاة في القرآن، لأن الصلاة متضمنة للإخلاص للمعبود، والزكاة والنفقة متضمنة للإحسان على عبيده، فعنوان سعادة العبد إخلاصه للمعبود، وسعيه في نفع الخلق، كما أن عنوان شقاوة العبد عدم هذين الأمرين منه، فلا إخلاص ولا إحسان".

> **الإحسان إلى الخلق ورحمتهم من أعظم ما تُستجلب به رحمة الله الرحمن سبحانه .**

والإحسان إلى الخلق ورحمتهم من أعظم ما تُستجلب به رحمة الله الرحمن سبحانه، وصدق الله إذ قال: «إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ» (سورة الأعراف:٥٦).

وذلك بأن الجزاء من جنس العمل فمن رحِمَ رُحِم، ومن أحسن إلى الخلق أحسن إليه الحق سبحانه، وفي الحديث المسلسل بالأولية الذي كان يبدأ به العلماء عند تحديثهم لطلابهم، وتعليمهم لهم قال صلى الله عليه وسلم: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ» (أخرجه أبو داود في سننه (٤٩٤١)، والترمذي في سننه (١٩٢٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وقال: "هذا حديث حسن صحيح").

فيا أيها الموفق: أقبل على صلاتك، وأدِّ زكاتك طيبة بها نفسك، وأحسن إلى الناس، وسل الله أن يرحمك ويتقبل منك صالح عملك.

السبب الخامس: الاستغفار والتوبة والدعاء بالرحمة من أجلّ الأسباب، وأعظم الوسائل التي تستمطر بها رحمة الله سبحانه الاستغفار؛ قال تعالى: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ

يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (سورة النمل: ٤٥-٤٦).

ومعنى: «لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّه» أي: "هلا تستغفرون الله، والاستغفار هاهنا بمعنى التوبة" (تفسير القرآن للسمعاني ٤/١٠٣).

ومن ذلك أن يتوب العبد إلى ربه، ويستغفره، ويسأله الرحمة، وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يسأله المغفرة والرحمة فقال سبحانه: "وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ" (سورة المؤمنون: ١١٨)، وذكر سبحانه أن من دعاء الراسخين في العلم قولهم: «رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ» (سورة آل عمران: ٨).

السبب السادس: التقوى

من أعظم أسباب نيل الرحمة تقوى الله عز وجل في كل الأحوال؛ قال تعالى: «إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (سورة الحجرات: ١٠)، وقال نوح عليه السلام مُذكرا قومه: «أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» «سورة الأعراف: ٦٣».

وقال تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (سورة يس: ٤٥) وفي المراد بقوله تعالى: «اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ» أقوال؛ فقيل: المراد ما مضى من الذُّنوب، وما يأتي من الذنوب، وقيل: ما تقدَّم من عذاب الله للأُمم، وما خلفكم من أمر الساعة، وقيل: «ما بين أيديكم» من الدنيا، «وما خَلْفكم» من عذاب الآخرة، وقيل: «ما بين أيديكم» من أمر الآخرة، «وما خَلْفكم» من أمر الدنيا فلا تَغْتَرُّوا بها (ينظر: زاد المسير لابن الجوزي ٣/٥٢٥).

والحاصل أنها دعوة لاتقاء الذنوب والمعاصي، والرجوع عنها إلى الطاعة والصلاح، حتى يصير العبد من المتقين.

وقد قال تعالى: «وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ» (سورة الأعراف: ١٥٦)، وقال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (سورة الحديد: ٢٨).

أيها الموفق المبارك هذه ستة أسباب ينبثق عنها غيرها هي طريقك لنيل رحمة الله، وذلك من فضل الله ورحمته ولطفه بعباده فاستمسك بها، واحرص عليها، واعلم أن رحمة الله تشمل الدنيا والآخرة، ورحمة الآخرة أعظم، قال الله سبحانه: "وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ" (سورة آل عمران: ١٠٧)، وقال صلى الله عليه وسلم: "جَعَلَ اللَّه الرَّحْمَةَ مائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ في الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ» (أخرجه البخاري في صحيحه (٦٠٠٠)، ومسلم في صحيحه (٢٧٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه).

نسأل الله الرحمن الرحيم أن يرحمنا برحمته الواسعة في الدنيا والآخرة.

التَّعَوُّذ
مِن سُوء الفِتَن

إعداد د. جمال المراكبي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

روى البخاري في الصحيح - كتاب الفتن - ح٧٠٨٩ - عن قتادة عَنْ أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَألوا النَّبيَّ صَلَى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ حَتَّى أحْفَوْهُ بِالْمَسْألَة: فَصَعِدَ النَّبِيُّ صَلَى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ذاتَ يَوْمٍ المِنْبَرَ فَقَالَ: لا تَسْألُوني عَنْ شَيْءٍ إلَّا بَيَّنْتُ لَكُمْ. فَجَعَلْتُ أنْظُرُ يمِينًا وَشِمالًا، فإذا كُلُّ رَجلٍ لافٌّ رأسَهُ في ثَوْبِهِ يَبْكِي. فأنْشأ رَجُلٌ، كَانَ إذا لاحى يُدْعَى إلَى غيرِ أبِيه، فَقَالَ: يا نَبِيَّ اللَّه مَنْ أبِي؟ فَقَالَ: أبُوكَ حُذَافَةُ. ثُمَّ أنْشأ عُمَرُ فقالَ: رَضِينا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا. نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُوءِ الفِتَنِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: مَا رَأيْتُ في الخَيْرِ والشَّرِّ كَاليَوْمِ قَطُّ. إنَّهُ صُوِّرَتْ لِي الجَنَّةُ وَالنَّارُ، حَتَّى رَأيْتُهُمَا دُونَ الحَائطِ. فَكَانَ قَتادَةُ يَذْكُرُ هَذا الحَديثَ عِنْدَ هَذِه الآيَةِ: «يَا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْألُوا عَنْ أشْيَاءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ» (المائدة: ١٠١)

قال ابن حجر: قوله: باب التعوذ من الفتن: قال ابن بطال: في مشروعية ذلك الرد على من قال: اسألوا الله الفتنة، فإن فيها حصاد المنافقين. وزعم أنه ورد في حديث وهو لا يثبت رفعه، بل الصحيح خلافه. قلت: أخرجه أبو نعيم من حديث عليّ بلفظ: "لا تكرهوا الفتنة في آخر الزمان فإنها تبير المنافقين"، وفي سنده ضعيف ومجهول.

وقد تقدم في كتاب الدعوات عدة تراجم للتعوذ من عدة أشياء: منها الاستعاذة من فتنة الغنى، والاستعاذة من فتنة الفقر، والاستعاذة من أرذل العمر، ومن فتنة الدنيا، ومن فتنة النار، وغير ذلك.

قال العلماء: أراد صلى الله عليه وسلم مشروعية ذلك لأمته.

قوله: أحفوه: أي ألحوا عليه في السؤال

وعند الإسماعيلي في رواية: ألحفوه أو أحفوه بالمسألة.

قوله: (فإذا كل رجل رأسه في ثوبه) في رواية الكشميهني: لاف رأسه في ثوبه. وتقدم في تفسير المائدة من وجه آخر: لهم خنين من البكاء.

قوله: (فأنشأ رجل) أي بدأ الكلام، وفي رواية الإسماعيلي: فقام رجل، وفي لفظ له: فأتى رجل.

قوله: (كان إذا لاحى) من الملاحاة وهي المماراة والمجادلة.

قوله: (أبوك حذافة)، في رواية معتمر: سمعت أبي عن قتادة عند الإسماعيلي واسم الرجل خارجة. قلت: والمعروف أن السائل عبد الله بن حذافة السهمي أخو خارجة، وتقدم في تفسير المائدة من قال إنه قيس بن حذافة.

وعند أحمد عن أبي هريرة: لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به. فقال عبد الله بن حذافة: من أبي يا رسول الله؟ قال: حذافة بن قيس. فرجع إلى أمه فقالت له: ما حملك على الذي صنعت؟ فقد كنا في جاهلية، فقال: إني كنت لأحب أن أعلم من هو أبي من كان من الناس.

قوله: (ثم أنشأ عمر) كذا وقع في هذه الرواية، وتقدم في تفسير سورة المائدة من طريق أتم من هذا، وعند الإسماعيلي من طريق معتمر المذكور من الزيادة: فأرم براء مفتوحة، ثم ميم ثقيلة وخشوا أن يكونوا بين يدي أمر عظيم.

قال أنس: فجعلت ألتفت يمينًا وشمالاً فلا أرى كل رجل إلا قد دسَّ رأسه في ثوبه يبكي، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سلوني.. فذكر الحديث.

وعند أحمد عن أبي عامر العقدي عن هشام بعد قوله أبوك حذافة: فقال رجل: يا رسول الله في الجنة أنا أو في النار؟ قال: في النار.

قوله (من سوء الفتن) بضم السين المهملة بعدها واو ثم همزة، وللكشميهني "من شر" بفتح المعجمة وتشديد الراء.

قوله: (صورت الجنة والنار) في رواية الكشميهني: صورت لي.

قوله: (دون الحائط) أي بينه وبين الحائط، وزاد في رواية الزهري عن أنس: فلم أر كاليوم في الخير والشر؛ كما في كتاب الاعتصام.

قوله: فكان قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الآية:(يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم)؛ وكذا وقع في رواية الإسماعيلي.

قوله: (عائذا بالله)، وهكذا وقع بالنصب وهو على الحال، أي أقول ذلك عائذا، أو على المصدر أي عياذا، وجاء في رواية أخرى بالرفع أي أنا عائذ.

ومعتمر هو ابن سليمان التيمي. (عن أبيه) يعني عن أبي معتمر سليمان بن طرخان.

ثم أنشأ عمر هذا الكلام الذي لا يُمكن أن يُنازعه فيه أحد؛ قال: رضينا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً؛ يعني فلا نسأل، بل نحن راضون بالله ربًا هو الذي يحكم فينا، وبالإسلام دينًا لا نتجاوزه، وبمحمد رسولاً؛ فقرَّر -رضي الله عنه- ما يجب على كل مسلم وهو الرضى بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد صلى الله عليه وسلَم رسولاً.

وقال: نعوذ بالله من الفتن:

خاف أن تكون هذه الأسئلة التي ألحفوا رسول الله صلى الله عليه وسلَم بها؛ خاف أن تكون من الفتن، ربما ينزل أشياء ما كانوا يتوقعونها بسبب هذه الأسئلة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلَم: (ما رأيت في الخير والشر كاليوم قط)؛ لأنه رأى شيئًا عظيمًا كما رآه حين كان في صلاة الكسوف، لكنه في

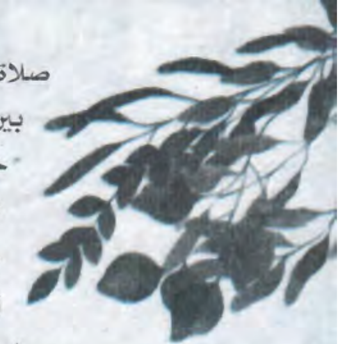

صلاة الكسوف رأى الجنة والنار بين يديه حتى إنه تأخر، خوفًا من لفح النار، وتقدم ليأخذ من العنب الذي رآه في الجنة.

أما هذا فيقول: (صُوِّرت لي الجنة والنار، حتى رأيتهما وراء الحائط) يعني ما كانت بين يديه كما كانت في صلاة الكسوف. والله أعلم.

رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا

عن أبي سعيد الخدري: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مَنْ قَالَ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ. رواه ابن أبي شيبة في "المصنف"، وعبد بن حميد في "المسند"، وأبو داود في "السنن"، والنسائي في "السنن الكبرى"، وابن حبان في "صحيحه"، والحاكم في "المستدرك"، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه."

وجاء الحديث أيضًا بلفظ قريب عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ. فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ، فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ... فَفَعَلَ، ثُمَّ قَالَ: وَأُخْرَى يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ. رواه مسلم (١٨٨٤) والنسائي في "السنن الكبرى".

وعن سعد بن أبي وقاص قال: قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا؛ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ» رواه مسلم.

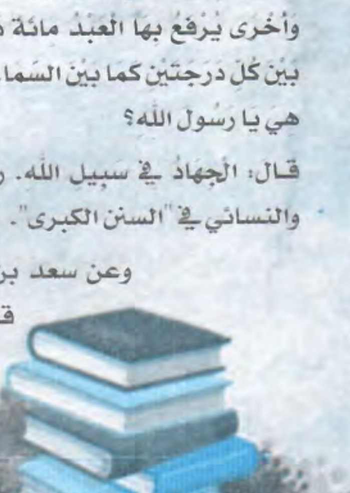

وعن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً).

قال العيني: (رضيت بالله ربًا) أي: قنعتُ به، واكتفيت به، ولم أطلب معه غيره.

(وبالإسلام دينًا) رضيت بالإسلام دينًا فلم أسعَ في غير طريق الإسلام، ولم أسلك إلا ما يوافق شريعة محمد - عليه السلام.

(وبمحمد رسولاً) أي: رضيت بمحمد رسولاً: آمنتُ به في كونه مُرسلا إليَّ وإلى سائر المسلمين.

وانتصاب "ربًا" و"دينًا" و"رسولاً" على التمييز.

والتمييز وإن كان الأصل أن يكون في المعنى فاعلاً؛ يجوز أن يكون مفعولاً أيضا كقوله تعالى (وفجرنا الأرض عُيُونًا)؛ ويجوز أن يكون نصبها على المفعولية؛ لأن "رضي" إذا عُدِّي بالباء يتعدى إلى مفعول آخر.

وخلاصة القول: إن هذه الجملة العظيمة وردت من كلام النبي صلى الله عليه وسلم في مواضع عديدة وهي على قسمين:

الأول: ما يكون من قبيل التقرير للمعنى.

والثاني: ما يأتي على سبيل الإنشاء في الأذكار.

أما القسم الأول، فقد جاء فيه حديثان: الأول أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣٤)، من حديث الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا".

الثاني أخرجه مسلم في "صحيحه" عن أبي سعيد

الخُدْري -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «مَنْ رَضِيَ بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا، وجَبَتْ له الجنة»، فعَجِبَ لها أبو سعيد، فقال: أعِدْها عليَّ يا رسول الله، فأعادها عليه، ثم قال: «وأُخْرى يَرْفَعُ الله بها العَبْد مائة دَرَجة في الجنة، ما بين كل دَرَجتَين كما بين السماء والأرض» قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: الجهاد في سَبِيل الله، الجهاد في سَبِيل الله.

وأما القسم الثاني: فهو قسم الأذكار المأثورة، التي ورد فيها هذا اللفظ، وقد ورد هذا الذكر في عدة مواطن، صح منها ثلاثة مواضع:

الموضع الأول: أن يقولها المسلم دون قيد بموضع أو زمن.

والحديث فيه أخرجه أبو داود في "سننه"، من حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ، أن رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- قال: مَنْ قال: "رَضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ رسولًا، وَجبتْ له الجنَّة"، والحديث صححه الشيخ الألباني في "صحيح أبي داود"، وهنا جاء اللفظ: "وبمحمد رسولا".

الموضع الثاني: عند سماع المؤذن.

والحديث فيه أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣٨٦)، من حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ. وقد جاء اللفظ هنا أيضا: "وبمحمد رسولا".

الموضع الثالث: أن يقول ذلك إذا أصبح. والحديث فيه أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٢٠/٣٥٥)، من طريق المُنَيْذِر صاحبِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وكَانَ يَكُونُ بِإِفْرِيقِيَةَ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، فَأَنَا الزَّعِيمُ لَآخُذَ بِيَدِهِ حَتَّى أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ.

والحديث حسَّنه بهذا اللفظ الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٨٦).

وهنا جاء اللفظ: " وبمحمد نبيًا". هذا وقد استحسن النووي في كتابه الأذكار أن يجمع الذاكر بين لفظي نبيًا ورسولاً، والأليق أن يأتي الذاكر بهذا تارةً وبذاك أخرى على وفق ما جاء في الروايات. فإن لم يمكنه ذلك أتى بأي منهما؛ فكلاهما يدلان على معنى واحد، وهو الرضا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم نبيًا ورسولاً.

ولعل من يستحب الإتيان باللفظ الوارد في كل رواية يستند إلى ما ورد في الصحيح من حديث البراء بن عازب في الذكر قبل النوم، وفيه: "فقلت أستذكرهما: آمنت بكتابك الذي أنزلت وبرسولك الذي أرسلت. فقال: لا. آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت. فاستدرك عليه النبي أن يأتي بلفظ: رسولك بدلا من نبيك.

ولعل هذا الحديث يأتي مفصلاً في مقال لاحق إن شاء الله تعالى.

فائدة:

قول عمر: "رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا"؛ ورد أيضًا في صحيح مسلم وغيره في حديث فضل صيام يوم عرفة.

والحمد لله رب العالمين.

تاريخ القرآن الكريم

إعداد **الشيخ/ مصطفى البصراتي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فالبحث في تاريخ القرآن الكريم يبدأ بنزوله على النبي صلى الله عليه وسلم، وما تلا ذلك من جمعه وتدوينه والعناية به في سائر الأعصار.

فالقرآن هو: كلام الله تعالى، المُنزَّل بالعربية، على خاتم رسله بواسطة جبريل، المنقول الينا بالتواتر، المُتعبَّد بتلاوته، المُتحدَّى بأقصر سورة منه.

وقد تكلم الله سبحانه وتعالى بالقرآن على وجه الحقيقة، والكلام صفة من صفاته تعالى، غير مخلوق.

أنزل الله هذا القرآن دستورًا للأمة، وهداية للخلق، ومعجزة دالة على صدق رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وهو أعظم الكتب السماوية وأجمعها للعلوم، وآخرها عهدًا برب العالمين.

وقد ابتدأ نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم في الليلة المباركة -ليلة القدر- من شهر رمضان، واستمر ينزل مُنجَّمًا مُفرَّقًا بحسب الوقائع والحوادث والأحوال، على مدى ثلاثة وعشرين عامًا هي مدة الرسالة المحمدية، تثبيتًا لفؤاد النبي صلى الله عليه وسلم وتجديدًا لنزول الوحي، وتدرجًا في التربية والتكليف، وتيسيرًا للحفظ والفهم والاستيعاب.

وفي شهر رمضان من كل عام، كانت تتم المراجعة بين جبريل عليه السلام والرسول

صلى الله عليه وسلم، لكل ما تم نزوله في العام المنتهي.

فكان جبريل يقرأ والرسول صلى الله عليه وسلم يستمع، ويقرأ الرسول صلى الله عليه وسلم وجبريل يستمع. (عرض وسماع، وتلقٍ ومشافهة، وتلقين ومدارسة).

وفي العام الأخير من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، تم ذلك مرتين للقرآن كله، وفهم النبي صلى الله عليه وسلم من تثنية المعارضة للقرآن، بأن أجله قد دنا، وحان وقت وفاته، بعد أن أكمل الله الدين، وأتم النعمة، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، فأسرَّ بذلك إلى ابنته فاطمة رضي الله عنها، وأخبرها بأنها ستكون أول مَن يلحق به، ففرحت بعد حزن.

وقد تكفل الله تعالى بجمعه في صدر نبيه، وتحفيظه إياه، وبيان معانيه له، فكانت الصحابة تحفظه، وبأمر النبي صلى الله عليه وسلم كُتَّاب التنزيل بتدوينه، ويدلهم على موضع الآية من السورة.

فيقول: «ضعوا هذه السورة بجانب تلك السورة».

فترتيب آيات القرآن ترتيب نبوي توقيفي، وترتيب سور القرآن على ما هي عليه الآن في المصحف بين أيدينا، ترتيب نبوي توقيفي في أصح الأقوال عند العلماء.

ووضع أسماء السور من تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا، حيث كان يقول: «السورة التي يُذكَر فيها كذا»، وقد جُمع القرآن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي عهد أبي بكر، وفي عهد عثمان.

حفظ القرآن في صدور الصحابة:

لم ينتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، إلا والقرآن كله محفوظ في صدر النبي صلى الله عليه وسلم وفي صدور أصحابه رضي الله تعالى عنهم أجمعين، قال تعالى: «بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ» (العنكبوت: ٤٩).

وقد حفظ القرآن كله في حياة النبي صلى الله عليه وسلم جمّ غفير من الصحابة رجالًا ونساءً، مهاجرين وأنصارًا.

وقد استشهد من حفظة القرآن سبعون في موقعة بئر

معونة ومثلهم في حروب الردة، وقد ذكر أبو عبيد في كتاب (القراءات) ممن حفظ القرآن خمسة عشر من المهاجرين، وخمسة من الأنصار وثلاثة من المهاجرات.

وقد صحت الأحاديث بذكر عدد منهم، مثل: معاذ بن جبل، وأُبَيّ بن كعب، وسالم مولى أبي حذيفة، وعبد الله بن مسعود، وأبي الدرداء، وأبي زيد (قيس بن السكن)، وقيل: (سعد بن عبيد)، وزيد بن ثابت. (ذكر ذلك البخاري وغيره عن أنس) وانظر جامع الأصول (٢/٥٠٧).

ومنهم أبو موسى الأشعري، وعبد الله بن عمرو، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة... وغيرهم رضي الله عنهم جميعًا.

وكان حفظ الصحابة للقرآن، بترتيب آياته وسوره، كما علّمهم النبي صلى الله عليه وسلم، وكما ثبت ذلك في العرضتين الأخيرتين.

وهذا الترتيب للآيات والسور، باعتبار القرآن متلوًا بالألسن فهو مرتَّب في الصدور، ومرتَّب في السطور.

كما حفظ القرآن كله في العهد النبوي، فإنه كُتب كله ودُوِّن في وسائل الكتابة المتاحة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، كالعسب (جريد النخل)، والرقاع (الرقعة من الجلد أو القماش)، والأكتاف (عظم البعير أو الشاة إذا جف)، واللخاف: صفائح الحجارة، وأصول السعف، وقطع الخشب، وغير ذلك.

تمت كتاب القرآن كله بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المواد ونحوها، وظلت في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته.

ومواد الكتابة التي دُوِّن عليها القرآن الكريم في العهد النبوي لا تسمح بالضرورة بجمع القرآن بين غلافين؛ إذ إن القطعة من الرقاع، أو العظم، أو الخشب، أو الجريد، لا تُضَمّ إلى غيرها، ولا يُكتب فيها إلا شيء يسير ولكنها كانت مرتبة الآيات والسور بقدر الإمكان.

وهذا هو الجمع الأول للقرآن في العهد النبوي:
١- حفظ له في الصدور بترتيب الآيات والسور.
٢- تدوين له في وسائل الكتابة المتاحة آنئذ.

فتم جمع القرآن كله في حياة النبي صلى الله عليه وسلم حفظًا وكتابة. ولم يتم تدوين القرآن كله في مصحف واحد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.
لأسباب أربعة:
١- توقع استمرار نزول الوحي ما دام الرسول صلى الله عليه وسلم حيًا.
٢- توقع حدوث النسخ.
٣- ولأن ترتيب النزول يختلف عن ترتيب المصحف، فلو جُمع القرآن في العهد النبوي، لأدى ذلك إلى التغيير كلما نزل شيء من الوحي، ومعلوم أن ترتيب المصحف على النحو الموجود في المصاحف يوافق ترتيبه في اللوح المحفوظ، وكان النزول بحسب الحوادث والأحوال.
٤- وقبل كل شيء، فإن إرادة الله تعالى اقتضت ذلك.

والحمد لله رب العالمين.

نهايةُ عامٍ.. وقفةُ محاسبة

إعداد / الشيخ/ عبده أحمد الأقرع

فرع اخناواي

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

وبعدُ؛ ففي مستهل كل عام هجري، ومع إشراقة كل سنة يتعيّن على الكيّس اللبيب أن يتذكّر أن الليل والنهار يُقرّبان كل بعيد، ويُخْلقان كل جديد. قال الله تعالى: «وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا» (الفرقان: ٦٢). وأن يعلم أنه بين مخافتين: أجل مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه.

وفي مطلع العام تُستفتح صفحات بيضاء لا يدري العبد ما يُسطر فيها، يغدو ويروح إلى أجل قد غُيِّب عنه علمه، قال الله تعالى: «وَمَا تَدۡرِى نَفۡسٌ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدۡرِى نَفۡسُۢ بِأَىِّ أَرۡضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ» (لقمان:٣٤).

وفي مراحل العمل وتقلبات الأيام وقفات يحاسب فيها العبد نفسه فيستثقل ذنبه ويستغفر ربه، ويراجع أعماله، فمن الخير يزداد، وعن التقصير أناب، ولا يزال العبد على هدى ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة همّته. فمن راجع نفسه ربح، ومن غفل عنها

خسر، فما الأعمال إلا أعوام، وما الأعوام إلا أيام، وما الأيام إلا أنفاس، فحتم على كل عبد آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه، فإن كل نفَس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها، ومن جهل قيمة الوقت الآن فسيأتي عليه حينٌ يعرف فيه قدره ونفاسته وقيمة العمل الصالح فيه، ولكن بعد فوات الأوان، وفي هذا يذكر رب العزة سبحانه بموقفين للإنسان يندم فيهما على ضياع وقته:

الموقف الأول: ساعة الاحتضار؛ حيث يستدبر الدنيا ويستقبل الآخرة، ويتمنى لو مُنح مهلة من الزمن، وأُخر إلى أجل قريب ليُصلح ما أفسده ويتدارك ما فات. قال الله تعالى: « حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ » (المؤمنون: ٩٩-١٠٠).

والموقف الثاني: في الآخرة؛ حيث توفى كل نفس ما عملت وتُجزى بما كسبت، ويدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، هناك يتمنى أهل النار لو يعودون مرة أخرى إلى حياة التكليف، ليبدؤوا من جديد عملاً صالحا.

ولكن: هيهات هيهات! فما يطلبون قد انتهى زمن العمل وجاء زمن الجزاء: « وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ » (الزمر: ٧٠)؛ قال الله تعالى: « وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ » (فاطر: ٣٧).

> **في مراحل العمل وتقلبات الأيام وقفات يحاسب فيها العبد نفسه فيستثقل ذنبه ويستغفر ربه، ويراجع أعماله.**

إذا كان الأمر كذلك، فعلى صاحب البصر النافذ والعقل الواعي أن يتزود من نفسه لنفسه، قال الله تعالى: « وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗا » (المزمل: ٢٠)، فما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا سوى الجنة دار الأبرار أو النار دار الفجار، والخير كله بحذافيره في الجنة فأدلجوا في السير إليها، والشرّ كله بحذافيره في النار، فاجتهدوا في الهروب منها، فهذه وصية من أرسله الله رحمة للعالمين، قال صلى الله عليه وسلم: « ما رأيتُ مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها ». (صحيح الجامع: ٥٦٢٢).

فالسعيد مَن استودع مدة عمره صالحا من عمله، والشقي من شهدت عليه مدة عمره بقبيح زلاته، قال الله تعالى: « مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ » (النمل: ٨٩، ٩٠).

فكل من فرط في طاعة الله سيأتي عليه اليوم الذي يتحسر فيه على تفريطه، « وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ » (فاطر: ١٤)، قال الله تعالى: « وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ

وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ (٥٦) أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ (٥٧) أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ » (الزمر: ٥٤-٥٨).

فيا عباد الله: ما دمنا جميعًا نوقن بهذا؛ لأن الذي أخبر به هو الله سبحانه وتعالى، «وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا » (النساء: ٨٧)؛ ونوقن جميعًا بأن الموت نهاية كل حي في هذه الدنيا، وكأس تتحساها كل نفس، وأنه خاتمة المطاف، ونهاية التطواف في عالم الدنيا، فإنه يجدر بنا -ونحن نودع عامنا، ونختتم سنة من أعمارنا- أن نقف وقفة حازمة مع نفوسنا، نذكرها بهذه الخاتمة.

خطب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: «ألا إن الدنيا قد ولت مدبرة، والآخرة قد أسرعت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل».

فتزودوا -إخواني- من دنياكم قبل الممات، وتداركوا هفواتكم قبل الفوات، وحاسبوا أنفسكم وراقبوا الله في الخلوات، وتفكروا فيما أراكم من الآيات، وبادروا بالأعمال الصالحات، واستكثروا في أعماركم القصيرة من الحسنات، قبل أن يُنادي بكم المنادي، قبل أن يفاجئكم هادم اللذات، قبل أن يتصاعد منك الأنين والزفرات، قبل أن تنقطع قلوبكم عند فراقكم حسرات، قبل أن يغشاكم من غمّ الموت الغمرات، قبل أن تُزعجوا من القصور إلى بطون الفلوات، قبل أن يُحال بينكم وبين ما تشتهون من هذه الحياة، قبل أن تتمنوا رجوعكم إلى الدنيا وهيهات».

> **اعلم أن خير أيامك يوم العودة إلى الله عز وجل، فاصدق في ذلك السير، فمن أصلح ما بينه وبين ربه كفاه الله ما بينه وبين الناس.**

قال بلال بن سعد: يقال لأحدنا: تريد أن تموت؟ فيقول: لا، فيقال له: لم؟ فيقول: حتى أتوب وأعمل صالحًا، فيقال له: اعمل، فيقول: سوف أعمل، فلا يحب أن يموت ولا يحب أن يعمل، فيؤخر عمل الله تعالى ولا يؤخر عمل الدنيا.

فالواجب المبادرة إلى التوبة وترك التسويف، فإن تأخير التوبة هو -بحد ذاته- ذنب يستحق التوبة، كيف وإن المؤمن ليخشى أن يُحال بينه التوبة وهو لا يشعر، فتفوته فيندم حيث لا ينفع الندم؟!

وقد حذر المولى -تبارك وتعالى- من ذلك، فقال عز وجل: « إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا (١٧) وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا » (النساء: ١٧، ١٨).

فجُدّ -أخي- في التوبة، وسارع إليها فليس للعبد مستراح إلا تحت شجرة طوبى، ولا للمحب قرار إلا يوم المزيد، فسارع إلى التوبة، وهُبّ من الغفلة، واعلم أن خير أيامك يوم العودة إلى الله عز وجل، فاصدق في ذلك السير، فمن

أصلح ما بينه وبين ربه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن صدق في سريرته وحسنت علانيته، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه، والمحاسبة الصادقة ما أورثت عملاً.

قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه: «من أعظم الاغترار عندي: التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة، وتوقُّع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمني على الله عز وجل مع الإفراط. ومن أحبَّ الجنة انقطع عن الشهوات، ومن خاف من النار انصرف عن السيئات». اهـ.

فيا أيها الغافل: راقب مَن يراك في كل حال، وطهِّر سرك فهو عليم بما يخطر بالبال، إلى متى تميل مع الزخارف؟! وإلى كم ترغب لسماع الملاهي والمعازف والمحرمات؟! أما آن لك أن تجالس صاحب الدين والصلاح العاكف على عمله يقطع ليله بالقيام حتى الصباح، ونهاره بالصيام لا يمل ولا يتوانى رجاء الفوز بالأرباح وأنت في غمرة هواك مفتونًا في الانهماك بدُنياك! وكأني بكم وقد هجم عليك ما بدَّد شملك وأوهن قواك وافترسك من بين أهلك وعشيرتك وأخلائك وتخلى عنك خليلك وأصدقاؤك لا يستطيعون ردَّ ما نزل بك ولا تجد له كاشفًا فانتبه ما دم جسمك صحيحًا والعمل منك في إمكان.

قال الفضيل بن عياض لرجل: كم أتت عليك؟ قال: ستون سنة. قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تبلغ. فقال الرجل: إنا لله وانا إليه راجعون. فقال الفضيل: أتعرف تفسيره. تقول: إنا لله وانا راجعون؛ فمن عرف أنه لله عبد، وأنه إليه راجع، فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسؤول. ومن علم أنه مسؤول فلْيُعدَّ للسؤال جوابًا، فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال: يسيرة. قال: ما هي؟ قال: تُحسن فيما بقي يُغفر لك ما مضى؟ فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت بما مضى وما بقي.

فرحم الله عبدًا فكر واعتبر واستبصر فأبصر ونهى النفس عن الهوى. قال الله تعالى: «فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ» (النازعات: ٣٤-٤١).

اللهم إنا نسألك أن تجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أعمارنا أواخرها، وخير أيامنا يوم نلقاك، واختم لنا عامنا هذا بالتوبة النصوح وبعفوك عن السيئات والذنوب، وتقبل اللهم منا صالح الأعمال، واجعلنا يا رحمن يا منان يا رحيم من أهل هذه الآية: «إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءً وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا» (الإنسان: ٢٢)، آمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

الاستقامة على الكتاب والسنة

قال الله تعالى: «وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (الأنعام: ١٥٣).

من هدي النبي ﷺ

المحافظة على أسرار المجالس وعدم إفشائها

عن جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «إذا حدّث الرّجل الحديث ثمّ التفت فهي أمانة».

صحيح الترمذي (١٩٥٩).

الاستعانة بالله في جميع الأحوال

قال الحافظ ابن رجب: «العبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات وترك المحظورات، والصّبر على المقدورات كلّها؛ في الدّنيا، وعند الموت، وبعده، من أهوال البرزخ ويوم القيامة.

(جامع العلوم والحكم).

من أقوال السلف

قال قتادة رحمه الله تعالى: «إنّ الرّجل إذا كان كلّما هوي شيئًا ركبه، وكلّما اشتهى شيئًا أتاه، لا يَحجزه عن ذلك ورعٌ ولا تقوى، فقد اتّخذ إلهه هواه». (أضواء البيان).

من دلائل النبوة

إخبار النبي ﷺ بموت المنافقين

عن جابر رضي الله عنه قال، قدم النبي صلى الله عليه وسلم من سفر فلما كان قرب المدينة هاجت ريح تكاد أن تدفن الراكب؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بُعثت هذه الريح لموت منافق. فقدم المدينة فإذا عظيم من المنافقين قد مات. رواه مسلم.

من معاني الأحاديث

«نهى صلى الله عليه وسلم عن نكاح الشغار»، وهو نكاح معروف في الجاهلية، كان يقول الرجل للرجل: شاغرني: أي زوّجني أختك أو بنتك أو من تلي أمرها، حتى أزوّجك أختي أو بنتي أو مَن ألي أمرها، ولا يكون بينهما مَهر. «النهاية في غريب الحديث».

من دعاء الرسول ﷺ

عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئًا، قلنا: يا رسول الله، دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئًا؟ قال: ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله. تقول: اللهمَّ إنا نسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، وأنت المستعان، وعليك البلاغ، ولا حول ولا قوة إلا بالله. (سنن الترمذي (٣٥٢١))

من تفسير السلف

قال ابن كثير في قوله تعالى: «ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى»: أي: لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل، فإن العدل واجب على كل أحد، في كل حال، وقد قال بعض السلف: ما عاملت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه. (تفسير ابن كثير).

إعداد/د. علاء خضر

أحاديث باطلة لا تصح

"كلوا الزيت وادهنوا به فإنه شفاء من سبعين داء، منها الجذام". منكر. رواه أبو نعيم في "الطب" من طريق الطبراني.

حكم ومواعظ

قال التابعي الجليل أبو سليمان الداراني: «إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله عليَّ فيه نعمة ولي فيه عبرة».

(تفسير ابن كثير)

من فضائل الصحابة

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد قيل له في قصة وفاته: أوصِ يا أمير المؤمنين، استخلف، قال: "مَا أجدُ أحقَّ بهذا الأمر من هؤلاء النَّفر -أو الرَّهط-، الَّذين توفي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهُم راضٍ"؛ فسمَّى: عليًّا، وعثمانَ، والزُّبيرَ، وطلحةَ، وسعدًا، وعبدَ الرَّحمن. (رواه البخاري).

من حكمة الشعر

قال أبو العتاهية في الحث على العمل الصالح والصدق:

واذا تناسبت الرِّجال، فما أرى
نسبًا يُقاس بصالح الأعمال
واذا بحثت عن التقيِّ وجدته
رجلاً يُصدِّق قوله بفعال

ديوان أبي العتاهية.

المعيار

إعداد د/ أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد: من البلايا المنهجية التي وقعت في زماننا: خروج نابتة من الأمة تدَّعي الوصاية على حَمَلة الشريعة، بل وعلى الشريعة ذاتها، مع اختلاف المسميات والوجوه والأهداف، لكنَّهم وضعوا معيارًا دخيلاً تدور عليه الأحكام، وتُعقَد عليه معاقد الولاء والبراء، هذا المعيار قد يكون مسألة من مسائل الدين أو حادثة وقعت في بعض الأحايين، أو نازلة عمَّت الخلق واضطربت فيها أقوال المتنازعين، فأتى هؤلاء واعتقدوا فيها قولاً ظنَّوا بزعمهم أنها مسألة أصل الدين ومنبع الاتباع وطريق العز والتمكين، ورموا من خالفهم بالجهل والتضليل والبعد عن الهُدَى المبين، وهي عندهم سبيل الضالين، هؤلاء المتعصبة في الواقع هم أبعد الناس عن الاتباع؛ إذ هناك فرق كبير بين التعصب والاتباع، والحدُّ الفاصل بينهما هو: قبول الحق إذا بان له، أو عدم قبوله؛ فمتى كان مُوَطِّنًا نفسه على قبول الحق؛ ثم يَخْضع له متى ما تبيَّن له؛ فهو ليس بمتعصِّب، أمَّا إذا كان متَّبعًا لمتبوعه على أي حال، بغضِّ النظر عن الدليل؛ فهذا هو المتعصِّب والمقلِّد على غير دليل.

فهؤلاء ومن يتابعهم يعيشون في قوقعة، اعتقدوا أمرًا ثم جيَّشوا أدلة تناصر عقيدتهم، وهذا من أعظم المثالب المنهجية التي أدَّت إلى الشقاق والافتراق، فطالب الحق يجب أن يفهم النصوص على ما هي عليه، ثم يكون فهمه تابعًا لها، لا أن يُخضع النصوص لفهمه أو لما يعتقده، ولهذا

يقولون: "استدل ثم اعتقد". وليس العكس؛ لأنك إذا اعتقدت ثم استدللت ربما يحملك اعتقادك على أن تُحرف النصوص إلى ما تعتقده، كما هو ظاهر في جميع الملل والمذاهب المخالفة لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام.

وأعظم ضلال وقعت فيه الفرق الضالة إنما أتى من هذا المسلك، فالشيعة الإمامية جعلوا قضية الإمامة معيار الاتباع، والخوارج جعلوا الإمعان في الأعمال والغلو فيها معيارًا للحق، والأشاعرة والفرق الكلامية أمعنوا في تقديس العقول واتبعوا قواعد المتكلمين لمعرفة الله .... إلى آخره.

وسرى هذا الداء في الأمة إلى وقتنا، ففي الأمة طائفة نصبت مسألة الثورات معيارًا للاتباع أو العكس، وفي المقابل فريق نصب الدخول في العمل السياسي معيارًا ودليلاً على الحق، وآخرون نصبوا حبّ شيخ أو مسمى حادث معيارًا للاتباع، وآخرون قالوا: إن معيار الاتباع أن تكون صوفيًا أو أشعريًا، وطلاب علم نصبوا مسألة من مسائل الفقه معيارًا ودليلاً على الحق، وكل هؤلاء على طرائق، وطريق الحق أبلج واضح، وليست كل مسألة تُعقد عليها رايات الولاء والبراء، ولا كل خطأ وقع من عالم تُنصب له مقصلة الحكم والتدابر والافتراء، فخلاف الحق والضلال هذا الذي لا نلين فيه ولا نسهل القول به.

وأما ما يسع الناس من الخلاف السائغ؛ فقد قرّر العلماء مسائل أدب الخلاف وقعّدوا لها أصولاً جامعة، ومنها أن الرد في مسائل الخلاف السائغ لا يوجب النفرة كما قالوا: "في الرد تضطغن العقول وليس تضطغن الصدور".

لأن متعلق الولاء والبراء هو الإيمان والاتباع والعمل الصالح، ولا يبنى على مسألة أو نازلة أو زلة لعالم أو موقف حادث؛ قال شيخ الإسلام: "وأما ما يشبه ذلك من وجه دون وجه؛ فهو: ما تنازعوا فيه مما أقروا عليه وساغ لهم العمل به من اجتهاد العلماء والمشايخ والأمراء والملوك كاجتهاد الصحابة في قطع اللينة وتركها، واجتهادهم في صلاة العصر لما بعثهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة، وأمرهم أن لا يُصلوا العصر إلا في بني قريظة؛ فصلى قوم في الطريق في الوقت، وقالوا: إنما أراد التعجل لا تفويت الصلاة. وأخّرها قوم إلى أن وصلوا وصلوها بعد الوقت تمسكًا بظاهر لفظ العموم؛ فلم يُعنّف النبي صلى الله عليه وسلم واحدة من الطائفتين، وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران واذا اجتهد فأخطأ فله أجر".

وقد اتفق الصحابة في مسائل تنازعوا فيها؛ على إقرار كل فريق للفريق الآخر على العمل باجتهادهم كمسائل في العبادات والمناكح والمواريث والعطاء والسياسة، وغير ذلك، وحكم عمر أول عام في الفريضة الحمارية بعدم التشريك، وفي العام الثاني بالتشريك في واقعة مثل الأولى، ولما سئل عن ذلك قال: تلك على ما قضينا، وهذه على ما نقضي، وهم الأئمة الذين ثبت بالنصوص أنهم لا يجتمعون على باطل ولا ضلالة، ودل الكتاب والسنة على وجوب متابعتهم.

وتنازعوا في مسائل علمية اعتقادية كسماع الميت صوت الحي، وتعذيب الميت ببكاء أهله، ورؤية محمد صلى الله عليه وسلم ربه قبل الموت؛ مع بقاء الجماعة والألفة. وهذه المسائل منها ما أحد القولين خطأ قطعًا، ومنها ما المصيب في نفس الأمر واحد عند الجمهور أتباع السلف. والآخر مؤدٍّ لما وجب عليه بحسب قوة إدراكه وهل يقال له: مصيب أو مخطئ؟ فيه نزاع. ومن الناس من يجعل الجميع مصيبين ولا حكم في نفس الأمر. ومذهب أهل السنة والجماعة أنه لا إثم على من اجتهد وإن أخطأ فهذا النوع يشبه النوع الأول من وجه دون

وجه. أما وجه المخالفة فلأن الأنبياء عليهم السلام معصومون عن الإقرار على الخطأ بخلاف الواحد من العلماء والأمراء؛ فإنه ليس معصومًا من ذلك"... إلى أن قال: "فالمذاهب والطرائق والسياسات للعلماء والمشايخ والأمراء، إذا قصدوا بها وجه الله تعالى دون الأهواء ليكونوا مستمسكين بالملة والدين الجامع الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له واتبعوا ما أنزل إليهم من ربهم من الكتاب والسنة بحسب الإمكان بعد الاجتهاد التام؛ هي لهم من بعض الوجوه بمنزلة الشرع والمناهج للأنبياء، وهم مثابون على ابتغائهم وجه الله وعبادته وحده لا شريك له، وهو الدين الأصلي الجامع، كما يثاب الأنبياء على عبادتهم الله وحده لا شريك له، ويثابون على طاعة الله ورسوله فيما تمسكوا به لا من شرعة رسوله ومنهاجه كما يُثاب كل نبي على طاعة الله في شرعه ومنهاجه". (مجموع الفتاوى ١٩/١٢٢).

عين السخط:

هؤلاء الوصاة على الناس لا ينظرون إلى الناس عامة بعين الرضا، وانما عين السخط غالبة على أحكامهم حتى لو أعلنت انخلاعك من قول أخطأت فيه فلن تشفع لك توبتك عندهم، ولو قلت بمقالتهم وأنت لا تنتمي لهم لشككوا في نواياك، وهذه محنة قديمة عانى منها كبار أهل السنة والجماعة، وانظر إلى معاناة الإمام الشاطبي في مقدمة كتابه الاعتصام وهو يصف حاله مع أمثال هؤلاء فقال:

"وربما ألموا في تقبيح ما وجهت إليه وجهتي بما تشمئز منه القلوب، أو خرجوا بالنسبة إلى بعض الفرق الخارجة عن السنة شهادة ستكتب ويسألون عنها يوم القيامة:

فتارة نسبت إلى القول بأن الدعاء لا ينفع ولا فائدة فيه كما يُعزَى إلى بعض الناس، بسبب أني لم ألتزم الدعاء بهيئة الاجتماع في أدبار الصلاة حالة الإمامة.

وتارة نسبت إلى الرفض وبغض الصحابة رضي الله عنهم، بسبب أني لم ألتزم ذكر الخلفاء الراشدين منهم في الخطبة على الخصوص؛ إذ لم يكن ذلك من شأن السلف في خطبهم، ولا ذكره أحد من العلماء المعتبرين في أجزاء الخطب.

وتارة أضيف إليَّ القول بجواز القيام على الأئمة، وما أضافوه إلا من عدم ذكري لهم في الخطبة، وذكرهم فيه محدث لم يكن عليه من تقدم.

وتارة حُمل عليَّ التزام الحرج والتنطع في الدين، وانما حملهم على ذلك أني التزمت في التكليف والفتيا الحمل على مشهور المذهب الملتزم لا أتعداه، وهم يتعدونه ويفتون بما يسهل على السائل ويوافق هواه، وان كان شاذًا في المذهب الملتزم أو في غيره.

وتارة نُسبت إلى معاداة أولياء الله، وسبب ذلك أني عاديت بعض الفقراء المبتدعين المخالفين للسنة المنتصبين بزعمهم لهداية الخلق، وتكلمت للجمهور على جملة من أحوال هؤلاء الذين نسبوا أنفسهم إلى الصوفية ولم يتشبهوا بهم.

وتارة نُسبت إلى مخالفة السنة والجماعة، بناء منهم على أن الجماعة التي أمر باتباعها وهي الناجية ما عليه العموم، ولم يعلموا أن الجماعة ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم بإحسان.

وكذبوا عليَّ في جميع ذلك، أو وهموا، والحمد لله على كل حال.

فكنت على حالة تشبه حالة الإمام الشهير عبد الرحمن بن بطة الحافظ مع أهل زمانه؛ إذ حكى عن نفسه فقال: "عجبت من حالي في سفري وحضري مع الأقربين مني والأبعدين، والعارفين والمنكرين، فإني وجدت بمكة وخراسان وغيرهما

من الأماكن أكثر مَن لقيت بها موافقًا أو مخالفًا، دعاني إلى متابعته على ما يقوله، وتصديق قوله، والشهادة له، فإن كنت صدقت فيما يقول، وأجزت له ذلك كما يفعله أهل هذا الزمان؛ سمّاني موافقًا، وإن وقفت في حرف من قوله أو في شيء من فعله سمّاني مخالفًا، وإن ذكرت في واحد منها أن الكتاب والسنة بخلاف ذلك وارد، سمّاني خارجيًا، وإن قرأت عليه حديثًا في التوحيد، سمّاني مُشبِّهًا، وإن كان في الرؤية؛ سمّاني سالميًا، وإن كان في الإيمان سمّاني مرجئًا، وإن كان في الأعمال، سمّاني قَدريًا، وإن كان في المعرفة سمّاني كَراميًا، وإن كان في فضائل أبي بكر وعمر، سمّاني ناصبيًا، وإن كان في فضائل أهل البيت سمّاني رافضيًا، وإن سكت عن تفسير آية أو حديث فلم أجب فيهما إلا بهما، سمّاني ظاهريًا، وإن أجبت بغيرهما، سمّاني باطنيًا، وإن أجبت بتأويل، سمّاني أشعريًا، وإن جحدتهما، سمّاني معتزليًا، وإن كان في السنن مثل القراءة، سمّاني شفعويًا، وإن كان في القنوت سمّاني حنفيًا، وإن كان في القرآن، سمّاني حنبليًا، وإن ذكرت رجحان ما ذهب كل واحد إليه من الأخبار؛ إذ ليس في الحكم والحديث محاباة قالوا: طعن في تزكيتهم. ثم أعجب من ذلك أنهم يُسمونَني فيما يقرءون عليّ من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يشتهون من هذه الأسامي، ومهما وافقت بعضهم عاداني غيره، وإن داهنت جماعتهم، أسخطت الله تبارك وتعالى، ولن يغنوا عني من الله شيئًا. وإني مستمسك بالكتاب والسنة، وأستغفر الله الذي لا إله إلا هو، وهو الغفور الرحيم.

هذا تمام الحكاية، فكأنه -رحمه الله- تكلم على لسان الجميع، فقلما تجد عالمًا مشهورًا أو فاضلاً مذكورًا، إلا وقد نُبذ بهذه الأمور أو بعضها؛ لأن الهوى قد يداخل المخالف، بل سبب الخروج عن السنة الجهل بها والهوى المتبع الغالب على أهل الخلاف، فإذا كان كذلك، حمل على صاحب السنة، أنه غير صاحبها، ورجع بالتشنيع عليه والتقبيح لقوله وفعله. (الاعتصام ١/٣٧، بتصرف يسير).

فلن تسلم من هؤلاء فقد اعتقدوا فيك معتقدًا وأنزلوك منزلاً لن تتقدم أو تتأخر عنه، فيا أيها السالك طريق الحق: لا تنشغل بمهاترات هؤلاء، والزم طريق التعلم والتعليم، وإياك أن تنشغل بهذا أو ذاك، فقد رأينا أهل العلم يسيرون على ضرب التعلم والتعليم، وقد انتفع بهم خلق، وظهرت في دعوتهم ثمار الحق، وتنكّب عن الطريق مَن ضاق فكْره ووعيه وفارق الصف، وأعجب بنقده للكبار وهو غمر لم يتعلم ضبط الحرف، قال الألباني -رحمه الله- في بعض وصاياه للمتعجلين في الأحكام: "أنصح بهذا لكل إخواننا المشتغلين بهذا العلم، حتى لا يقعوا في مخالفة قول الله تبارك وتعالى: «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا» (الإسراء: ٣٦). ولكي لا يصدق عليهم المثل المعروف: "تَزَبَّبَ قبل أن يتحصرم"! ولا يصيبهم ما جاء في بعض الحِكَم: "مَن استعجل الشيء قبل أوانه؛ ابتُلي بحرمانه". ذاكرًا مع هذا ما صح من قول بعض السلف: "ليس أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ويُؤخذ من قوله ويُترك إلا النبي صلى الله عليه وسلم". السلسلة الضعيفة (٤/٨).

هذا وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه.

الحوار وتنمية الأمن الفكري لدى الشباب

إعداد د. محمد محمود العطار
أستاذ مساعد - جامعة الباحة سابقا

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد: فالحوار وسيلة للتفاهم من أجل تضييق الخلاف وتقريب وجهات النظر، والأمن الفكري للشباب أمر في غاية الأهمية، فالشباب هم عصب الحياة، وعماد نهضة الأمم، وأساس رقيها وتقدمها، وإذا أُحسن إعداد الشباب وتأهيلهم سيكونون من أهل الخير والصلاح في الدنيا والآخرة على السواء، وتكون الأمة قد صنعت شيئاً عظيماً لنفسها في حاضرها ومستقبلها.

ونظراً لما يمثله الشباب من أهمية خاصة، فقد سعت الكثير من الدول إلى غرس ثقافة الحوار وتشجيعها بينهم، وذلك من أجل العمل على حل مشاكلهم وتعزيز انتماء الشباب لأوطانهم. كما أن للحوار دورًا هامًا في تنمية الأمن الفكري لدى الشباب، لا سيما وأننا نعيش في عصر العولمة والتغيرات القيمية؛ حيث أصبح الشباب يعيش في صراعات وتقلبات ومشكلات عديدة، ومنهم من انحرف وانضم للفئات المتطرفة عن العقيدة الإسلامية الصحيحة، مما أصبح يهدد أمننا الفكري في مجتمعاتنا الإسلامية.

وللمخرج من هذه الأزمة، ولبناء شاب مسلم صالح على أساس العقيدة الإسلامية الصحيحة: لا بد من اتباع منهج الاعتدال والوسطية في الإسلام.

إن الأمة الإسلامية تعيش أزمة حقيقية، بسبب غياب لغة الحوار وقبول الرأي والرأي الآخر بين أفراد المجتمع المسلم، وهذا عامل رئيسي للانحراف بأنواعه دينياً وخُلقياً وفكرياً ونفسياً، لذلك يُعتبر تطبيق وتفعيل الحوار مخرجًا لهذه الأزمة، بل هو وسيلة رئيسية وفعالة لتحقيق الأمن الفكري لدى الشباب.

مفهوم الحوار:

جاء في مختار الصحاح: الحوار هو التجاوب.

ومن تعاريف الحوار: هو سبيل إيصال الفكر، وإقناع المعارضين، ومعرفة ما عند الآخرين، بل هو القدرة على التفاعل المعرفي والعاطفي والسلوكي مع الناس، وبه يسهل تبادل الخبرات والمفاهيم بين الآباء والأبناء، وبين الشباب أنفسهم.

مفهوم الأمن الفكري:

الأمن هو اطمئنان الإنسان على دينه ونفسه وعقله وأهله وماله وسائر حقوقه، وعدم خوفه في الحاضر أو المستقبل وفق توجيه الإسلام

وهدي الوحي ومراعاة الأخلاق والأعراف والمواثيق. والأمن في شتى مجالاته مطلب ضروري ليعيش الإنسان حياة هادئة مطمئنة. والأمن الفكري هو الذي يهتمَ بأمن الإنسان على أفكاره ومعتقداته وآرائه، كما هو إحساس المجتمع أن منظومته الفكرية ونظامه الأخلاقي الذي يرتب العلاقات بين أفراده داخل المجتمع، ليس في موضع تهديد من فكر وافد، بإحلال لا قبل له بردّه، سواء من خلال غزو فكري منظم، أو سياسات مفروضة.

وسائل تحقيق الأمن الفكري:

يتحقق الأمن الفكري أولاً بإزالة وعلاج الأسباب التي قد تؤدي للانحراف الفكري أولاً في المنزل والمجتمع والإعلام وغيره، كما أن تحقيق الأمن الفكري يعتمد على الحوار والتسامح، ومن أهم وسائل تحقيق الأمن الفكري ما يلي: تقوية الوازع الديني في النفوس والعودة الصادقة لمبادئ الإسلام، التربية بشتى صورها في المدرسة والمسجد والمجتمع، أهمية العمل واستثمار الأوقات بتحصيل العلم وبالعمل النافع، إشاعة ثقافة الحوار وتقبل الآخر، نشر ثقافة التسامح.

خاتمة:

إن الحوار من أساليب التربية الإسلامية، والذي يجب تفعيله وممارسته اليوم حتى يعزز الأمن الفكري لدى الشباب، بل هو المخرج للأزمة الفكرية التي يعيشها الشباب.

وفي ظل التطور العلمي والتكنولوجي، يجب العمل على غرس حبّ الوطن في نفوس أبنائه، وذلك عن طريق تزويد النشء منذ الطفولة بالمقومات الأساسية للمواطن الصالح، والاهتمام بالتوعية الدينية واعداد المعلم الصالح لها. ونشر الثقافة الإسلامية وثقافة الحوار بعيداً عن التعصب والتمسك بالمظهر على حساب الجوهر.

إن واقع الأمة العربية ينذر بالخطر فشباب الأمة سريع التأثير، سريع الاستجابة لدعاة السوء، فدعاة السوء هم أصحاب الفكر الضال والمنحرف الذين يركزون على تزييف الواقع وغسل عقول شبابنا.

وأخيراً وليس آخراً، لقد أنعم الله سبحانه وتعالى على مصرنا الحبيبة بالأمن والرخاء والاستقرار والازدهار، فهذا الوطن جدير بأن نمنحه حبّنا وولاءنا وانتماءنا، وأن نُنمّي هذا الحب في نفوس أطفالنا وشبابنا منذ الصغر.

التوصيات:

لتنمية الأمن الفكري لدى الشباب، نصل للتوصيات التالية:

- تمسك الأمة الإسلامية بكتاب الله وسنة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، في كل جوانبها بما فيها الثقافية والتربوية والاجتماعية.
- نشر ثقافة الحوار لبناء شخصية سوية للشباب تناقش وتقبل وترفض بعض ما يبثّ من ثقافات وأفكار على بصيرة وتدبر وتفكر.
- تعزيز الحوار وممارسته في المجتمع من خلال المؤسسات التربوية والثقافية والاجتماعية.
- ضرورة الاهتمام بتوضيح مفهومي الحوار والأمن الفكري، من خلال الدعوة لقيام المؤتمرات والندوات وكذلك من خلال الدراسات والبحوث.
- سدّ منافذ الغزو الفكري المحيطة بالشباب وتحصينهم ضدّها.
- فتح باب التوبة إلى مَن غُرّر به من الشباب، واقامة جسور للحوار بينهم وبين العلماء لتصحيح مفاهيم هؤلاء الشباب.

تحذير الداعية من القصص الواهية
الحلقة 301

قصة
مارية جارية النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة

إعداد الشيخ / علي حشيش

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد: فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة القُصّاص والوُعاظ والكُتّاب والصحف والمجلات، والى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

أولا: أسباب ذكر هذه القصة:

١- إن هذه القصة اشتهرت على ألسنة الخطباء والقُصاص واعتقد الكثير أنها قصة صحيحة لوجودها في بعض كتب السنة الأصلية، ونُذكر القارئ الكريم أن كتب السنة الأصلية هي: كتب السنة التي صنَفها مؤلفوها عن طريق تلقّيها عن شيوخهم بأسانيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- وهذه القصة سنبين من التخريج والتحقيق أنها قصة واهية، وقد انتشرت أيضًا في كتب السيرة، ومما ساعد على انتشارها ورواجها أنها انتشرت أكثر من مرة في جريدة من أهم الجرائد القومية في الديار المصرية.

٣- ولقد نشرت جريدة الجمهورية في عددها (١١٥٩٥) في الصفحة السابعة يوم السبت ٣ من المحرم ١٤٠٦هـجرية مقالاً للدكتور عبد الجليل شلبي تحت عنوان (قرآن وسنة) ما نصه: «وحديث سراقة وغوص قوائم جواده ثلاث مرات كلها من المبالغات».

ثم يدلل على ذلك بأن مرجعه إلى عوامل طبيعية لا إلى معجزة أيَّد الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم، فقال فضيلته -عفا الله عنا وعنه-: "وأما سراقة فإن جواده حقًا كبا به وسقط هو من فوقه؛ لأنه طمع في الجائزة الثمينة من قريش، فكان يُجهد الجواد فلما كبا به تطيَّر، أما أن يغوص في الرمال إلى بطنه، فإن هذا يقتضي ألا ينهض الجواد إلا بعد مشقة وطول زمن حتى يخلعه من الرمال، وبهذا يبعد النبي وأبو بكر عنه، ويقول: إن الجواد كبا فقط ويرجع ذلك إلى

العامل الطبيعي ويستبعد غوص قوائم الجواد".

٤- ثم قال فضيلة الدكتور -عفا الله عنا وعنه-: "هناك روايات أولى وأحق بالاتباع، ثم ذكر رواية تقول: إن الرسول عندما أراد الخروج من بيته ليلة الهجرة «خرج من خلف البيت وتسور جدار فنائه الخلفي وكان لديه جارية جعلها تقف بجانب الجدار فوضع قدمه على كتفها ونزل من الجانب الخلفي».

ثانيا: الدفاع عن السنة المطهرة:

١-وكما هو مبين من تاريخ النشر حاولت الدفاع عن السنة المطهرة في يومها والذي مضى عليه أكثر من أربعين عامًا فقمت بالاتصال على فضيلة الشيخ العلامة محمد علي عبد الرحيم رحمه الله الرئيس العام لجماعة أنصار السنة بمقره، والذي أجازني في باب الدفاع عن السنة المطهرة ليأذن لي بالرد وأنا يومها ابن الأربعين؛ حيث وجدت نفسي أمام الدكتور عبد الجليل شلبي وهو الأمين العام السادس لمجمع البحوث الإسلامية، وهذه المؤسسة من أهم المؤسسات الدولية العلمية التابعة للأزهر الشريف، وهذه المؤسسة لها منا كل احترام وتقدير.

فوجدت نفسي أمام سنّ ومنصبٍ فأذن الشيخ لي بالرد، وذكرني أن أضع أمامي في الدفاع عن السنة قول أمير المؤمنين في الحديث عبد الله بن المبارك رحمه الله والذي أخرجه الإمام مسلم في مقدمة الصحيح، باب: «الإسناد من الدين»؛ حيث قال: حدثني محمد بن عبد الله بن قهزاد من أهل مرو قال: سمعت عبدان بن عثمان يقول: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء».

- وقال محمد بن عبد الله: حدثني العباس بن أبي رزمة قال سمعت عبدالله يقول: «بيننا وبين القوم القوائم». قلت: ومن يومها كان هذا هو الميزان الذي اتخذه في الرد ونقد الرجال.

٢- وباستقراء أقوال الدكتور لقصة سراقة وكذلك أقوال الدكتور في قصة الجارية في الهجرة، وجدت نفسي أمام حدث الهجرة بين تكذيب الصحيح، وتصحيح المكذوب كما سأبينه من التخريج والتحقيق ليكون نواة لمشروع إن فسَح الله في عمري ونسأ في أجلي، هذا المشروع هو السيرة بمنهج أهل الحديث لتمييز الطيب من الخبيث، وقد بينت يومها أن قصة سراقة ليست من المبالغات وليس من المجازفات، ولكنها من المعجزات الثابتة في أعلى درجات الصحة؛ حيث اتفق عليها الإمام البخاري حيث أخرجها في صحيحه ح(٣٩٠٦)، والإمام مسلم في صحيحه ح(٢٠٠٩)، وأخرجها الإمام أحمد ح(٣)، وفيها ساخت يد الفرس إلى بطنه في الأرض، وهذا في أرض صلبة وليست رمالا كما يدعي.

٣- أما قصة الجارية فقد أشرت إليها يومها بأنها منكرة واليوم نحققها تحقيقًا كاملًا.

ثالثا: تخريج قصة الجارية:

١- بعد أن أثبتنا قصة سراقة وأنها ثابتة ثبوت الجبال الراسيات، وأنها ليست من المبالغات والمجازفات ثم بينا أن قصة الجارية منكرة.

٢-وما كنت أود أن أرد على الدكتور لولا أنه عاد بعد سبعة أشهر، ليكتب يوم الأحد ١٨ من شعبان ١٤٠٦هـ وبالعدد (١١٨٠٨) بجريدة الجمهورية تحت عنوان (قرآن وسنة) ليؤكد ما كتبه تحت هذا العنوان يوم ١٣ من المحرم ١٤٠٦هـ.

فيقول: وما كتبته أنا عن أحداث الهجرة اخترته من «أقوال السيرة الحلبية».

٣-قلت: والسيرة الحلبية ليست كتاب تخريج ولا تحقيق، وظن بمجرد نقله أنه قد أدى ما عليه من التخريج والتحقق.

٤- وهذا يتبين ذكره للقصة من غير تخريج

ولا تحقيق.

وأما قوله: «وما كتبته أنا من أحداث الهجرة اخترته من أقوال السيرة الحلبية». قلت: وبالرجوع إلى السيرة الحلبية (٣٧/٢)؛ ط. دار الكتب العلمية بيروت، نجده نقل قصة الجارية التي نقلها الدكتور وقال عنها أنها أولى وأحق بالاتباع.

وإن تعجب فعجب قوله: إنها أولى وأحق بالاتباع!! والحلبي ذكر هذه القصة بغير سند وبغير تحقيق!!

٥- والحديث الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الإمام الحافظ الطبراني (٢٦٠/٣٦٠)، في المعجم الكبير (٤٢/٢٥) ح(٧٨)، حدثنا حفص بن عمر بن الصباح الرقي، ثنا المعلى بن أسد العمي، ثنا محمد بن عمران، ثنا عبدالله بن حبيب، عن أم سليمان، عن أمها، عن جدتها مارية قالت: «طأطأت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد حائطا ليلة فرّ من المشركين».

فأين سند الحلبي المتوفى سنة ١٠٤٤هـ حتى يصل إلى الحافظ الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠هـ، وبينهما مفاوز ٧٨٤ سنة.

رابعا: التحقيق:

١- قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥٢/٦)، رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفه.

٢- أخرجه أبو نعيم في «معرفة الأصحاب» (٣٤٥٠/٦)، ترجمة رقم (٧٨٥١)، بنفس طريق الطبراني الذي ذكرناه آنفا، وأخرجه برقم (٧٨٥٢)، ثم بين أن هذا الحديث هناك من رواه، وأسقط محمد بن عمران، فقال معلى بن أحمد عن عبد الله بن حبيب.

٣- قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (١١٣/٨) ترجمة (١١٧٣٨)، وقال: أما أم سليمان فما عرفت اسمها.

٤- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل»: «عبد الله بن حبيب روى عن أم سليمان عن أمها عن جدتها مارية قالت: تطأطأت للنبي صلى الله عليه وسلم حين صعد حائطا ليلة فرّ من المشركين. روى عنه محمد بن عمران القيسي». اهـ.

قلت: مما ذكره الإمام الحافظ ابن أبي حاتم فتبين علة هذا الحديث وهو عبد الله بن حبيب وأنه مجهول العين؛ حيث تفرّد عنه محمد بن عمران، ولم يرو عنه إلا ابن عمران؛ أي أنه لم يرو عنه إلا راوٍ واحد، ولم يوثق، وبهذين الشرطين يصبح الراوي مجهول العين وحكم روايته عدم القبول إلا إذا وُثِّق وهو لم يُوثَّق.

فالحديث مردود كذا في «شرح النخبة» كما في النوع الأربعين للحافظ ابن حجر.

٥- والحديث الذي جاءت به هذه القصة غريب لم يروَ إلا بهذا الإسناد كما تبين، فهو من الغرائب التي نقل الحافظ السيوطي في «التدوين» (١٨٢/٢): (أن الإمام أحمد بن حنبل قال لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب؛ فإنها مناكير، وعامتها عن الضعفاء).

وبهذا يتبين أن القصة مُنكرة، وبها مجهول العين كما بينا، وكذلك بها مَن لا يُعرف، ولذا فإنها منكرة لمخالفتها لما جاء في الصحيح من كيفية خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة كما في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في الحديث رقم (٣٩٠٥) من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل قول الدكتور في ردي عليه في ميزان حسناته؛ فمن أصلح لي خطأ فقد أهدى إليّ، والحقيقة بنت البحث وليست بنت السنّ ولا المنصب.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد. والحمد لله رب العالمين.

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد **الشيخ/ علي حشيش**

«أكثر ما أتخوَّف على أُمتي من بعدي: رجل يتأول القرآن، يضعه على غير مواضعه».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في مخطوطة «درر البحار في الأحاديث القصار» (٢/١٢) مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٧) وقال: «طس عن عمر».

قلت: «طس» ترمز إلى «المعجم الأوسط للطبراني».

وهذا تخريج بغير تحقيق فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين من التحقيق أنه حديث «موضوع».

نذكر القارئ الكريم بحد «الحديث الموضوع في عبارة جامعة مانعة قال الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» (النوع ٢١): قال: الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو شرّ الضعيف، وأقبحه وتحرم روايته في أيّ معنى كان سواء في الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه، وسنطبق هذا المصطلح على هذا الحديث من التخريج والتحقيق حتى يجد طالب العلم أيضًا دراسة لعلم الحديث التطبيقي».

أولا: التخريج:

الحديث أخرجه الإمام الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥١٦/٢) ح(١٨٨٦)، ط: مكتبة المعارف بالرياض قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا أحمد بن عبد الصمد، قال: حدثنا إسماعيل بن قيس الأنصاري، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكثر ما أتخوف على أمتي من بعدي... الحديث».

ثانيا: التحقيق:

١- قال الحافظ الطبراني: «لا يروى هذا الحديث عن عمر إلا بهذا الإسناد تفرد به أحمد». اهـ. قال: فالحديث غريب، وعلته إسماعيل بن قيس الأنصاري.

٢- وقال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٢٧/١): إسماعيل بن قيس الأنصاري في حديثه من المناكير والمقلوبات التي يعرفها من ليس الحديث صناعته في بيانها. اهـ.

٣- قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٢٧/٢٤٥/١): إسماعيل بن قيس بن سعد بن زيد بن ثابت الأنصاري أبو مصعب، قال البخاري والدارقطني: «منكر الحديث».

٤- قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (١٨): «إسماعيل بن قيس بن سعد بن زيد بن ثابت أبو مصعب: منكر الحديث». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح له معناه؛ حيث قال الشيخ أحمد شاكر في شرح اختصار علوم الحديث: ص٨٩،' وكذلك قول البخاري: «منكر الحديث» فإنه يريد به الكذابين. ففي «الميزان» للذهبي (٥/١): نقل ابن القطان: «أن البخاري قال: كل مَن قلت فيه "منكر الحديث": لا تحل الرواية عنه».. اهـ.

الاستنتاج:

من أقوال أئمة الجرح والتعديل نستنتج أن هذا الحديث: «موضوع».

خواطر حول الهجرة

إعداد الشيخ / إبراهيم حافظ رزق

فرع منشأة البكاري

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن الحديث عن الهجرة يطول، لكننا في حديثنا هذا سنقف وقفات ونشير إشارات سريعة، فالهجرة يُقصَد بها انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، وهذه الهجرة كانت انتقالًا بالدعوة من أرضٍ أغلقت أبوابها وقلوبها في وجه الدعوة الجديدة، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبحث عن مجال جديد وأرض جديدة يغرس فيها نبت الدعوة الجديدة، ولم يكن ذلك من عند نفسه، وإنما هو عبد مأمور، فما كان له أن يخرج من مكة إلا بعد أن يأذن الله له.

والهجرة حدثٌ غيَّر مجرى التاريخ؛ لأنه مع انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بدأ تأسيس المجتمع المسلم، ووضع اللبنات الأولى لقيام دولة الإسلام، ولم يكن يتسنى له ذلك في مكة وهو بين كفار قريش، ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم بدعًا من الرسل، أي أنه ليس أول مَن هاجر من الأنبياء والمرسلين، ولكن سبقه غيره من إخوانه من الرسل، فالقرآن يُحدثنا عن هجرة الخليل إبراهيم عليه السلام؛ حيث قال: «إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ» (العنكبوت: ٢٦). وذلك بعد أن استفرغ كل جهده في دعوة أبيه وقومه إلى الله عز وجل فخرج من بينهم بأمر الله يبحث عن مجال جديد لدعوة التوحيد.

والله تعالى يقول في القرآن: «وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا» (إبراهيم: ١٣)، فهذه سُنة الله في مواجهة الكفار لرسلهم في كل زمان من لدن نوح عليه السلام وحتى خاتم الرسل نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: «لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا» فالأرض أرض الله لا أرض الكفار، ولكنهم ينسبون ملكية

الأرض لأنفسهم، ، فما من نبي جاء قومه بدعوة التوحيد ونبذ ما كان عليه الآباء والأجداد من شرك ووثنية وعبادة لغير الله إلا كان التهديد بالإخراج وسيلة الباطل في مواجهة الحق كما قال قوم شعيب لشعيب عليه السلام: «لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا» (الأعراف: ٨٨).

وانتبه أيها المسلم الكريم إلى تعبير القرآن: «أوْ لَتَعُودُنَّ في ملَّتنا». فلم يقل القرآن أو لتعودُنَّ إلى ملتنا، فالأنبياء لم يكن أحد منهم على ملة قومه في عباداتهم لغير الله سبحانه وتعالى، وانما كان الأنبياء جميعًا معصومين من أن يسجدوا لغير الله أو أن يدعوا غير الله أو أن يتمسحوا بالأحجار والقبور فالله يحفظ أنبياءه أن يكونوا مع أقوامهم في دينهم الفاسد وعبادتهم الباطلة.

والله يُذكِّر نبيه محمدًا عليه الصلاة والسلام قائلًا له: «وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا» (الإسراء: ٧٦). ثم قال بعدها: «سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا» (الإسراء: ٧٧)، فهذه سُنة الله أن أهل الباطل يخوفون أهل الحق بالإخراج من الأرض، كما قال قوم لوط: «أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ» (النمل: ٥٦). فهؤلاء لا ينبغي أن يساكنونا في أرضنا لأنهم أناس يتطهرون، وكذلك هم أهل المجتمعات الفاسدة والمنحلة أخلاقيًا لا يريدون لأهل الطهر أن يعيشوا بينهم أو أن يساكنوهم أرضهم.

وقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر إخراجه من مكة منذ اليوم الأول لبدء الوحي حين أخذته زوجه خديجة رضي الله عنها إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان نصرانيًا يقرأ الكتاب الأول فقالت له: اسمع من ابن أخيك، فلما سمع منه قال: هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى، يا ليتني أكون فيها جذعًا، ليتني أكون حيًا إذ يُخرجك قومك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوَمُخْرِجيَّ هم؟» قال: نعم، لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودِيَ. (صحيح البخاري: ٤٩٥٣).

وقد خرج صلى الله عليه وسلم بعد أن أعد العدة وأخذ في الأسباب وبذل كل ما في وُسْعه، فاختار أبا بكر رضي الله عنه ليكون رفيقه في هجرته، واتفق مع من يدلّه على الطريق واختار مَن يُوصَل له الطعام والأخبار خلال وجوده في الغار.

ورغم كل هذه الاحتياطات وصل الكفار إلى فم الغار حتى قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا. فقال صلى الله عليه وسلم: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما». صحيح البخاري (٤٦٦٣) ومسلم (٢٣٨١).

وهناك أمر ينبغي أن يلتفت إليه في قول الله تعالى: «إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ

وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (التوبة: ٤٠).

هذا القول الكريم من سورة التوبة، وسورة التوبة سورة مدنية نزلت في السنة التاسعة من الهجرة، وقوله تعالى: «إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ» لم ينزل بشأن الهجرة، ولكن لمَّا تخلَّف المنافقون عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة تبوك -غزوة العسرة- قال الله لهم مهددًا إياهم: إلا تنصروا رسولنا صلى الله عليه وسلم، فقد نصرناه وهو وحيد ليس معه إلا صاحبه أبو بكر، فلم يترك ربُّ محمد -سبحانه وتعالى- محمدًا صلى الله عليه وسلم، فمهما تنصلتم وتخاذلتم عن نصرة نبينا صلى الله عليه وسلم فالله ناصره ومُظهر دينه.

كما أن هناك أمرًا آخر ينبغي التنبيه إليه، وهو أن الهجرة لم تكن في بداية شهر الله المحرم كما يفهم كثير من الناس، والثابت أن الهجرة كانت كما في أصح الأقوال في شهر ربيع الأول. وإنما اتخذ المسلمون من شهر المحرم بداية للتأريخ الإسلامي في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ حيث اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، وكانت المكاتبات والمراسلات تأتي من عمر إلى عماله وولاته مؤرخة مثلًا بشهر شعبان فلا يدري أهو شعبان من هذا العام أم من العام القادم، فاجتمع عمر بالصحابة رضي الله عنهم واتفقوا أن يكون بداية شهر الله المحرم هو التأريخ بالعام عند المسلمين لأن العرب كانوا يعدّون ويتأهبون لذلك بعد عودتهم من حجهم وهو آخر أركان الإسلام.

أيها المسلم الكريم: هذا ما كان من أمر الهجرة الأولى، أما ما يتعلق بنا نحن فيصدق فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه». أخرجه البخاري (١٠)، ومسلم (٤٠).

فأنت -أيها المسلم- مُطالَب أن تهجر كل ما نهى الله عنه، مُطالَب أن تهجر الشرك إلى التوحيد، فالله يقول لنبيه: «وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ» (المدثر: ٥)، وأنت -أيها المسلم- مُطالَب أن تهجر الباطل إلى الحق، وأنت كذلك مُطالَب أن تنتقل من البدعة إلى السنة، والتمسك بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وأنت كذلك -أيها المسلم- مُطالَب أن تهجر كل قبيح وأن تتمسك بكل ما هو طيب.

فالهجرة ليست قصة تُحكى مع بداية كل عام هجري، وإنما هي أعظم حدث في تاريخ الإسلام فبعد الهجرة بدأ بناء المسجد والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ولم يخلد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعد الهجرة إلى حياة الترف والدعة، وإنما كانت الهجرة بداية لطريق طويل وصعب لتأسيس المجتمع المسلم وبناء الأمة المسلمة.

نسأل الله أن يردنا جميعًا إلى الإسلام ردًا جميلًا، وأن يأخذ بأيدينا إلى ما فيه الخير والحق والعدل، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه أجمعين.

الحلقة (١٢)

الألفاظ الموهمة في باب الصفات بين الإجمال والاستفصال

الكلام عن: (الجهة) (المكان) (الحيز)

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فعلى إثر ما سبق ذكره من كلام فقهاء المذاهب بشأن جواز القول بـ(الجهة) و(المكان) بلا كيف، لاستلزامهما إثبات (علوه تعالى وفوقيته ونزوله واستوائه على عرشه ورؤيته يوم القيامة)، نعقب ذلك بذكر المزيد من أقوال أئمة الفقه والحديث لنرد من خلال كلامهم على من ادعوا أن الله في كل مكان: أو أنه ليس في مكان، أو أنه تعالى يُرى يوم القيامة لكن ليس من جهة.

١ - إجماع أهل السنة على أن الله تعالى مستو على عرشه:

لا أنه ليس في مكان، ولا أنه في كل مكان، ولا أنه يرى يوم القيامة لا من جهة، ونتخير من ذلك - ومن غير مَن سبق أن ذكرنا كلامهم -:

=ما نقله الإمام البخاري ت٢٥٦ في خلق أفعال العباد (٤٨) عن يزيد بن هارون من تحذير من الجهمية، ومن قوله: "من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يَقِرُّ في قلوب العامة فهو جهمي".

وقول زكريا الساجي ت٣٠٧ فيما حكاه عنه ابن بطة في الإبانة الكبرى: "القول في السنة التي رأيت عليها أصحابنا أهل الحديث الذين لقيناهم أن الله تعالى على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء".

وما ذكره ابن عبد البر حافظ المغرب ت٤٦٣، قال في التمهيد ٤/ ٤٥ لما انتهى إلى شرح حديث النزول: "هذا حديث صحيح لا يختلف أهل الحديث في صحته. وفيه دليل على أن الله في السماء على العرش فوق سبع سماوات كما قال الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: (إن الله في كل مكان وليس على العرش)، والدليل على صحة ما قاله أهل الحق في ذلك"، وطفق يسرد آي الاستواء والفوقية والعلو والعروج إليه، ثم أتبع ذلك بقوله: "وهذه الآيات كلها واضحات في إبطال قول المعتزلة..

ثم قال بعد أن ساق في ذلك كلام أبي عبيدة وأبي ربيعة الأعرابي، ورد شبهات من انتصر لتأويل الاستواء: "ومن الحجة أيضًا على أن الله على العرش فوق السماوات السبع: أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كَرَبهم أمر أو نزَلتْ بهم شدة، رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون ربهم، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يُحتاج إلى أكثر من حكايته، لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم" ا.هـ.

وما نص عليه الجيلاني ت٥٦١ في كتابه (الغنية) ص٧٣، قال: "وهو جل وعلا.. يعلم كل شيء، لا

يخفى عليه شيء، وهو منزه عن مشابهة خلقه، ولا يخلو من علمه مكان، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال: إنه في السماء على العرش كما قال: « ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ » (طه: ٥)، وقال: « إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ » (فاطر: ١٠). والنبي حكم بإسلام الأمة لما قال لها: (أين الله؟) فأشارت إلى السماء"، يعني خلافًا للجهمية الذين ساق كلامهم ص١١٤ من الغنية، يقول - رحمه الله -:

"وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش، لا على معنى القعود والماسة كما قالت (المجسمة والكرامية)، ولا على معنى العلو والرفعة كما قالت (الأشعرية)، ولا على معنى الاستواء والغلبة كما قالت (المعتزلة)، لأن الشرع لم يرد بذلك، ولا نُقل عن أحد من الصحابة والتابعين من السلف الصالح من أصحاب الحديث ذلك.. وكونه سبحانه على العرش، مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف".. وكلام السلف وأئمة اهل السنة في ذلك أكثر من أن يحصى وحسبنا منه ما ذكرنا.

٢-وصف المعتزلة من ،ينفي الجهة، بأنه أضحوكة على الرغم من إنكارهم هم لها:

والحق أن (نفي الجهة)، مع (الإثبات والإيمان برؤية الله تعالى يوم القيامة) من عجائب المتكلمين، إذ يستحيل أن تكون ثمة رؤية بصرية بلا جهة؛ وذلك من مسلمات اللسان العربي، وبخاصة أن رؤية الله على وجه يباين ما للمخلوقين؛ إنما يأتي إكرامًا من الله لأهل الإيمان حيث آمنوا به في الدنيا ولم يروه، وقد جاء مضروبًا به المثل بما هو ظاهر للعيان وبطريق الاستفهام الذي يعني: الإقرار وقطع الشك باليقين.

"وأي بيان وقرينة فوق قوله صلى الله عليه وسلم: (ترون ربكم كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب؟)، فهل مثل هذا - على حد قول ابن أبي العز في شرحه على الطحاوية ص١٥١ - مما يتعلق برؤية البصر؟، أو برؤية القلب؟، فإن قالوا: ألجأنا إلى هذا التأويل، حُكم العقل بأن رؤيته تعالى محالٌ لا يُتصور إمكانها؟، فالجواب: أن هذه دعوى منكم، خالفكم فيها أكثر العقلاء، وليس في العقل ما يحيلها، بل لو عُرض على العقل موجود قائم بنفسه لا يمكن رؤيته؛ لَحَكَمَ بأن هذا محال"ا.هـ.

لقد سُفه مذهبُ الأشعرية في نفيهم (الجهة) على الإطلاق مع إيمانهم بـ(الرؤية) حتى صاروا أضحوكة للأمم؛ بل ومن قبل المعتزلة الذين نفوهما بالكلية.. وما ذلك إلا لما بين ما أثبتوه وما نفوه من تناقض، ذلك أن الأشعرية في إيمانهم برؤية الله واستشهادهم بالأحاديث الصحيحة والمتفق عليها بشأنها، غاب عنهم أنه لا يصح الإيمان برؤية الله يوم القيامة لأهل الجنة؛ لمن يتأولها وينفي حقيقتها ولا يُسلم لله ولا لرسوله بما ورد بحقها من نصوص صريحة واضحة، بل ويتدخل فيها بفهمه وفكره وعقله؛ إذ البدهي في مثل هذا: التسليم لما يقضي به العقل في فهم ما جاء عن الله وعن رسوله، وعدم التدخل في ذلك بالأفهام والأوهام والتأويلات الباطلة والتحريفات الضالة، وهذا شأن أهل الإسلام بخلاف غير المسلمين، فإنهم تدخلوا فيما جاءهم عن الله وعن رسله فكان ان حرّفوا الكلم عن مواضعه وكانوا ما بين مغضوب عليهم وما بين ضالين.

وفي شرحه للعقيدة الواسطية وتحت عنوان: (الفرق المنكرة للرؤية) يقول د. عبد الرحيم السلمي: "وقد ضل في موضوع (الرؤية) فرقتان:

أما الفرقة الأولى: فهم المعتزلة المحرومون، فقد قالوا: (إن الله لا يُرى يوم القيامة بالعين)، وأوّلوا جميع الآيات وجميع الأحاديث الواردة في رؤية الله بـ(المعرفة) وأن المراد بهذه الآيات والأحاديث: (زيادة المعرفة والإكثار منها) وهو مشهور عن المعتزلة، والمعتزلة في الحقيقة لم يستدلوا بالأدلة الشرعية على إنكار رؤية الله، وانما كان منطلقهم في الاستدلال على إنكار رؤية الله منطلق عقلي محض، فقالوا: (إذا كان الله يُرى فمعنى هذا

أنه في جهة، ولا يكون في جهة إلا ما كان جسمًا منقسمًا)، وهذه الألفاظ لا بد أن يُستفصل عن معناها، فإذا كانت معان صحيحة قبلت، وإذا كانت معان باطلة ردت، وإذا كانت مشتملة على معنى صحيح ومعنى باطل؛ قُبل الصحيح ورُدَّ الباطل.

وهذه الاصطلاحات متأخرة ظهرت بعد الاصطلاحات الشرعية، وأراد بها أصحابها أنواعًا من العقائد التي تشتمل على الحق والباطل، فهم مثلًا يقولون: (إن إثبات العلو لله، واثبات رؤيته عز وجل يلزم منه أن يكون الله في جهة)، ونحن نقول: (ماذا تريدون من كلمة جهة؟ فإذا كنتم تريدون من كلمة جهة أن الله في جهة العلو، وأن المؤمنين يرونه يوم القيامة ولا يحيطون برؤيتهم له إحاطة تامة، كما قال تعالى: «لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ» (الأنعام: ١٠٣)، فهذا معنى حق أثبته الشرع، فلا عبرة بنفيكم، وان كنتم تقصدون بالجهة: أن الله في جهة، يعني: أنه محصور في جهة فهذا معنى باطل لا نقول به، وانما نقول: إن الله تعالى في جهة العلو، وهو سبحانه يُرى يوم القيامة بالأبصار).

فلما رأى المعتزلة أن أهل السنة أصحاب عقيدة صحيحة، وأن منطلقهم النصوص: بدءوا يتلمسون في النصوص ما يحاولون أن يستدلوا به على إنكار الرؤية، وهذه طريقة أهل البدع، فأهل البدع يقررون العقيدة أولًا كما يشاءون، ثم بعد ذلك يحاولون أن يأخذوا من النصوص ما يظنون أنه يوافق عقيدتهم ويستدلون بها، ويتركون الواضحات البينات، فجاءوا إلى قوله تعالى: «لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ» (الأنعام: ١٠٣)، فقالوا: (إن معناها: أنه لا يُرى)، وهذا كلام باطل؛ لأن الله تعالى في هذه الآية لم ينف الرؤية وانما نفى الإدراك، والإدراك معناه: الإحاطة، ونحن لا نقول: إن الله نراه يوم القيامة ونحيط به، وانما نقول: نراه ولا نحيط به: كما فسرتموها بـ(العلم)، فإن علمه لا يحاط به، كما قال تعالى: «وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ» (البقرة: ٢٥٥)، ومعنى هذا إذًا: أننا لا نعرف الله، لأننا لا نحيط به علمًا، وهذا إلزام لهم، والا فالمعنى الصحيح لهذه الآية: أن الله تعالى نفى عن العباد أن يدركوه، فلا يمكن للعبد أن يدرك الله حتى مع نظره إليه، وقد قال شيخ الإسلام في التدمرية عند حديثه عن القَدْر المشترك بين صفات الله وصفات خلقه: أن الله يقول: «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار»، فهذه الآية فيها إثبات للرؤية: لأنه قال: «لا تدركه الأبصار»؛ وهذا يدل على أنها تراه، فنفى الإدراك المتضمن لإثبات الرؤية، فيكون هذا دليلًا إضافيًا إلى تلك الأدلة التي تدل على رؤية الله يوم القيامة".

٣-وصف أهل السنة وسلف الأمة من «ينفي الجهة» بالتناقض:

ويستكمل د. السلمي فيقول: "الطائفة الثانية المنحرفة في باب الرؤية هم: الأشاعرة، والأشاعرة في كثير من الأحيان يأتون بشعارات يتفقون مع أهل السنة فيها، لكنهم عند التحقيق يختلفون عن منهج السلف، فهم يقولون مثلًا: (نحن نقول: بإثبات الرؤية، وأن الله يرى يوم القيامة، ويقررون هذا في مصنفاتهم بشكل واضح، ولكنهم يفسرونها بـ(مزيد الانكشاف العلمي)، ومعنى هذا: أن الرؤية هي: (علم) عندهم، وهي: (مزيد معرفة بالله فقط)، وهذا (العلم) غير (الرؤية) كما هو معلوم: لأن الانسان يمكن أن يعلم شيئًا ولا يراه بعينه، ونحن في الدنيا نعلم وجود الله ونعلم صفاته سبحانه ولم نره بأعيننا.

فهم عندما جاءوا إلى الرؤية في حديث: (إنكم سترون ربكم)؛ قالوا: هذا يعني: (ستعلمون ربكم)، فوافقوا المعتزلة في الحقيقة وخالفوهم في الشعار، فإذا سمعت أشعريًا يقول: (إننا نثبت رؤية الله)، فقل له: (هل تثبت رؤية الله بالعين؟)، فسيقول لك حينئذ: (إنه مزيد انكشاف)، وبعضهم كالغزالي في إحياء علوم الدين يقول: (إن الله يخلق في عين العبد رؤية له، وهو في الحقيقة لم ير الله)؛ وذلك لأنهم ينفون الجهة.

ويقولون: (الله عز وجل ليس في جهة)، ولهذا يقول العلماء عنهم: (من أثبت الرؤية ونفى الجهة فقد أضحك الناس على عقله)".

ويستطرد د.السلمي قائلًا: "والأشاعرة لا يقولون إن الله في السماء، وإنما يقولون: (هو في كل مكان)، أو يقولون: (لا خارج العالم ولا داخله، ولا في العلو)، فكيف يُرى من كانت هذه صفته؟!، ولهذا لما جاءوا إلى الرؤية قالوا: (إن الرؤية معناها مزيد انكشاف علمي)، أو يقولون كما قال الغزالي: (إن الله يخلق في نظر العبد شيئًا من مخلوقاته تسمى الرؤية)، وهذه طريقة عجيبة في التعامل مع النصوص، وهذا لا شك أنه باطل؛ فإن النصوص الشرعية أثبتت أن الله تعالى يُرى يوم القيامة بالعين المجردة التي هي عين الإنسان، وليس في هذا إحاطة ولا إدراك أبدًا، فهؤلاء محجوبون محرومون يموت الواحد منهم وهو لا يعتقد أنه يرى الله فهم في أشد الحرمان والعياذ بالله".

يقول ابن أبي العز -في معنى قول الطحاوي-: (ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم أو تأولها بفهم) - "أي: توهُّم أن الله يُرى على صفة كذا، فيتوهم تشبيهًا، ثم بعد هذا التوهُّم، إن أثبت ما توهمه من الوصف؛ فهو: مُشبِّه، وإن نفى الرؤية من أصلها لأجل ذلك التوهم؛ فهو: جاحد معطل، بل الواجب دفع ذلك الوهم وحده، ولا يعمُّ بنفيه الحق والباطل، فينفيهما ردًّا على من أثبت الباطل، بل الواجب رد الباطل واثبات الحق.

والى هذا المعنى أشار الشيخ بقوله: (ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه)؛ فإن هؤلاء المعتزلة يزعمون أنهم ينزهون الله بهذا النفي!، وهل يكون التنزيه بنفي صفة الكمال؟ فإن نَفْيَ الرؤية ليس بصفة كمال، إذ المعدوم لا يرى، وانما الكمال في إثبات الرؤية ونفي إدراك الرائي له إدراك إحاطة، كما في العلم، فإن نفي العلم به ليس بكمال، وانما الكمال في إثبات العلم ونفي الإحاطة به علمًا، فهو سبحانه لا يحاط به رؤية، كما لا يحاط به علمًا.

وقوله: (أو تأولها بفهم)؛ أي: ادعى أنه فهم لها تأويلًا يخالف ظاهرها وما يفهمه كل عربي من معناها، فإنه قد صار اصطلاح المتأخرين في معنى التأويل: أنه صرف اللفظ عن ظاهره، وبهذا تسلط المحرفون على النصوص، وقالوا: نحن نتأول ما يخالف قولنا، فسموا التحريف: تأويلًا، تزيينًا له وزخرفةً ليُقبل.. والعبرة للمعاني لا للألفاظ، فكم من باطل قد أقيم عليه دليل مزخرف عورض به دليل الحق، وكلامه - يعني: الإمام الطحاوي - هنا نظير قوله فيما تقدم: (لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا)، ثم أكد هذا المعنى بقوله: (إذ كان تأويل الرؤية - وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية -: بترك التأويل ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين).

ومراده: ترك التأويلات الفاسدة المبتدعة، المخالفة لمذهب السلف، التي يدل الكتاب والسنة على فسادها، وترك القول على الله بلا علم.. فمن التأويلات الفاسدة، تأويل أدلة الرؤية، وأدلة العلو، وأنه لم يكلم موسى تكليمًا، ولم يتخذ إبراهيم خليلًا!.. ثم قد صار لفظ التأويل مستعملًا في غير معناه الأصلي، فالتأويل في كتاب الله وسنة رسوله: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام".

والحق أن متأخري الأشاعرة الذين أثبتوا الرؤية - بعد هذا الكلام المسلم به قديمًا وحديثًا - تناقضوا حين قالوا: (إنه لا في جهة)، وقولهم كما ذكر شيخ الإسلام في منهاج السنة ٢/ ٢٥٢: "معلوم الفساد بضرورة العقل.. ولهذا يذكر الرازي أنه لا يقول بقولهم في مسألة الرؤية أحدٌ من طوائف المسلمين".

وللحديث بقية إن شاء الله.

ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره!

اعداد **ذ. محمد عبد العزيز**
رئيس فرع العاشر

الحمد لله ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (غافر: ٣)، وأصلي وأسلم على خاتم المرسلين، وإمام المتقين، وسيد الأولين والآخرين سيدنا محمد، وآله وصحبه الغر الميامين، وبعد:

فإن الدنيا قصيرة أجلها، سريع انقضاؤها، وهي دار عمل وامتحان وابتلاء، فليست دار استقرار وبقاء ونعيم، ولذلك فإن الخلق فيها يتقلبون بين الخير والشر، وبين الرخاء والشدة، وبين الصحة والعافية، والسعادة والمرض، والوهن والحزن، يتقلبون فيها بين المنشط والمكره، جعلها الله دار ابتلاء يبلو فيها العباد بالسراء والضراء فينظر ماذا يعملون ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٥)؛ فالعبد يتقلب في هذه الحياة الدنيا بين أربعة أحوال لا بد له منها:

الأول: أمر يجب عليه امتثاله وتنفيذه.

والثاني: نهي يجب عليه اجتنابه وتركه.

والثالث: قدر قدَّره الله يجري عليه لا محالة.

والرابع: نعمة يجب عليه شكر المنعم عليها. (انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن قيم الجوزية (ص ١١٤)).

> الدنيا قصيرة أجلها وهي دار عمل وامتحان وابتلاء، فليست دار استقرار وبقاء ونعيم، ولذلك فإن الخلق فيها يتقلبون بين الخير والشر

واذا كانت هذه الأحوال الأربعة لا تفارق العبد، فالصبر لازم له إلى الممات: فيحتاج للصبر على فعل الطاعات والاستدامة عليها، خاصة في أزمنة الغربة التي لا يجد فيها الأعوان.

ويحتاج للصبر عن المعاصي خاصة إذا كانت توافق الأهواء والغرائز، وسهل نيلها وذم تاركها، واستعلن العصاة بها، وعزَّ من يتقيها، وأصبح المُنكر في وسط العباد معروفًا.

ويحتاج للصبر على الأقدار والملمات التي لابد منها تمحيصًا للعباد. قال تعالى: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ» (البقرة: ١٥٥)، وقال: «لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» (آل عمران: ١٨٦)؛ فليس أحد بمنأى عن الابتلاء، وانما يُبتلى المرء على قدر دينه؛ فكلما كان في دينه صلابة زيدَ له في الابتلاء حتى يقبل على ربه ولا ذنب له. فعن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: «قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس أشد بلاء؟ قال صلى الله عليه وسلم: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى العبد على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبًا، اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة، ابتُلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد، حتى يتركه يمشي على الأرض، وما عليه من خطيئة». (أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٣)، والترمذي (٢٥٦١)، والنسائي في الكبرى (٧٤٣٩)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح).

وهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد ناله من هذا الابتلاء الشيء الكثير في نفسه وماله وولده وصحبه؛ فصبر على تلك الملمات، فمن ذلك أنه اشتد عليه المرض في آخر أيام الدنيا وهو مُقبل على الله. فعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

يحتاج الإنسان للصبر في شكر النعم بالقول والعمل

يُوعك، فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لتوعك وعكًا شديدًا؟ قال صلى الله عليه وسلم: أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم. قلت: ذلك أن لك أجرين؟ قال صلى الله عليه وسلم: أجل، ذلك كذلك، ما من مسلم يُصيبه أذى، شوكة فما فوقها، إلا كفَّر الله بها سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها» (أخرجه البخاري (٥٦٤٨)، ومسلم (٦٦٥١) (٤٥- ٢٥٧١)).

هيَ الدارُ دارُ الأذى والقذى
ودارُ الفناءِ ودارُ الغيرْ
فلوْ نلتَها بحذافيرِها
لمتَّ ولمْ تقضِ منها الوطرْ
أيا منْ يؤمّلُ طولَ الخلودِ
وطولُ الخلودِ عليهِ ضررْ
إذا ما كبرْتَ وبانَ الشبابُ
فلا خيرَ في العيشِ بعدَ الكبرْ

ويحتاج الإنسان للصبر في شكر النعم بالقول والعمل؛ ولعل هذا النوع من الصبر وإن رآه كثير من العباد سهلاً يسيرًا هو أصعب أنواع الصبر وأشقها على النفس؛ وذلك لأنه يوافق الغرائز والأهواء؛ فعن عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - قال: «ابتلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالضراء فصبرنا، ثم ابتلينا بالسراء بعده فلم نصبر» (أخرجه الترمذي (٢٤٦٤)، وقال: هذا حديث حسن).

فكل ما يلقى العبد في هذه الدار لا يخلو من نوعين:

أحدهما: يوافق هواه ومراده.

والآخر: يخالفه.

وهو محتاج إلى الصبر في كل منهما.

أما النوع الموافق لغرضه: فكالصحة والسلامة والجاه والمال وأنواع الملاذ المباحة، وهو أحوج شيء إلى الصبر فيها كما سبق.

وأما النوع الآخر المخالف لغرضه وهواه: فكالمرض والابتلاء والضعة والفقر وأنواع المصائب التي تحلّ بالعباد، فهو أحوج شيء للصبر عليها كما سبق.

فلو كانت الدنيا على الحال الأولى التي توافق هوى العباد وحدها وخلت من الأكدار لركنوا إليها واغتروا بها وحملهم ذلك على البطر والأشر والفرح المذموم الذي لا يحب الله أهله.

ولو كانت الدنيا على الحال الثانية التي تخالف هوى العباد وحدها لنفروا ويأسوا وقنطوا من رحمة الله.

لكنها تسير بين هذا وذاك، «وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» (الأعراف: ١٦٨).

> تقلب الناس بين هذه الأغيار سُنة كونية تسير عليها الأمم والمجتمعات كما تجري على الأفراد.

وتقلب الناس بين هذه الأغيار سُنة كونية تسير عليها الأمم والمجتمعات كما تجري على الأفراد فحينًا يكون الدين ظاهرًا ممكنًا لأهله، قد بدل الله خوفهم أمنًا وفقرهم وعوزهم وحاجتهم غنى ورغدٍ ورخاء وأمنًا وطمأنينة لا يهابون عدوًا ولا يشتكون عوزًا وفقرًا؛ «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» (النور: ٥٥)

وحينًا آخر تكون تجري على الأمم والمجتمعات الأغيار، فيبتليهم الله تعالى بالضراء كما ابتلاهم بالسراء، فيطمع عدوهم فيما في أيديهم ويحسدهم على ما معهم؛ فيكيدهم ويسعى لاستئصال شأفتهم وأخذ أموالهم، فتجري في الكون سُنة التدافع التي جعلها الله تعالى بين الإيمان والكفر، والعدل والظلم، والخير والشر، «وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ» (البقرة: ٢٥١).

وحينًا آخر تجري على الأمم والمجتمعات الأغيار إذا بدلوا وغيروا وخرجوا عن مراد الله فيهم، فيستشري فيهم الظلم بدلاً من العدل، ويظهر فيهم الترف وكفر النعم، ويتركون أمر ربهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويفشو فيهم الربا والزنا وأكل أموال الناس بالباطل، ويستبدلون ولاية أهل الإسلام بولاية غيرهم، ويظهر فيهم المنافقون....، فيأخذهم الله بالسراء والضراء لعلهم يرجعون إلى ربهم؛ «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» (الروم: ٤١).

فإن هم قست قلوبهم وغلظت طباعهم ومضوا في عتوهم بدَّل الله أمنهم خوفًا ورغدهم وغناهم فقرًا وعوزًا، لا يأمنون على أنفسهم ولا أموالهم ولا ذراريهم،

> النصر والتأييد الكامل إنما هو لأهل الإيمان الكامل فمن نقص إيمانه؛ نقص نصيبه من النصر والتأييد.

قد ظهر عليهم عدوهم وتسلط على مقدراتهم، وتركهم الله لأنفسهم؛ «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ» (الأنعام: ٤٢ - ٤٤).

فإن الله عز وجل إنما يؤيد بنصره أهل الإيمان، قال ابن قيم الجوزية في إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١٨٢/٢): «النصر والتأييد الكامل إنما هو لأهل الإيمان الكامل.

فمن نقص إيمانه؛ نقص نصيبه من النصر والتأييد.

ولهذا إذا أُصيب العبد بمصيبة في نفسه أو ماله، أو بإدالة عدوه عليه، فإنما هي بذنوبه؛ إما بترك واجب، أو فعل محرم، وهو من نقص إيمانه».

وهذه سنة الله تجري في سائر الأمم، وهذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الدرداء - رضي الله عنه - يقرر ذلك، فعن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، قال: «لما فتحت مدائن قبرص، وقع الناس يقتسمون السبي، ويفرقون بينهم، ويبكي بعضهم على بعض.

فتنحى أبو الدرداء، ثم احتبى بحمائل سيفه، فجعل يبكي.

فأتاه جبير بن نفير، فقال: ما يبكيك يا أبا الدرداء؟!

أتبكي في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله، وأذل فيه الكفر وأهله؟!

فضرب على منكبيه، ثم قال: ثكلتك أمك يا جبير بن نفير، ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره، بينا هي أمة قاهرة ظاهرة على الناس، لهم الملك حتى تركوا أمر الله، فصاروا إلى ما ترى» (أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢٦٦٠)).

«وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (الأعراف: ٩٦).

نسأل الله أن يردنا إليه ردًا جميلاً، وأن يمكن لنا دينَنا الذي ارتضى لنا، وأن يبدلنا من بعد خوفنا أمنًا.

والحمد لله رب العالمين.

تعلمتُ من رسول الله ﷺ

الحلقة 2

الإصرار على التزام أمر الله تعالى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلقد أرسل الله تعالى رسولنا محمدًا -صلى الله عليه وسلم- بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله، وأوحى إليه كما أوحى إلى نوح والنبيين من بعده، وأمره الله عز وجل بإقامة دينه والاستقامة على أمره، فقال جل وعلا: " فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " (هود: ١١٢).

ولقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- غايةً وقمةً وأُمةً في الامتثال لشرع الله تعالى مهما تردد في النفس من حرج عند أكابر أصحابه، وإنما كان منهجه الصارم: سمعنا وأطعنا. وهذا ما سنراه في كافة مواقفه -صلى الله عليه وسلم-.

إعداد د. جمال عبد الرحمن

قصة المرأة المجادلة:

المرأة المجادلة خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها، حدثت لها مشكلة طلاق مع زوجها أوس بن الصامت رضي الله عنه، وكانت هي وهو فقيرين أشد الفقر، ولم يكن لها عائل يعولها بعد هذا الزوج، فلما جاءت إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- تشكو له ظهار زوجها لها، أخبرها النبي بأنها طالق وحرُمت على زوجها، فظلت تلح وتجادل وتحاور، والنبي -صلى الله عليه وسلم- ليس لديه وحي جديد يعالج حالتها غير أنها طالق، فالتزم صلى الله عليه وسلم بما يعلمه من شرع ربه في هذه القضية، ومع أنه بالمؤمنين رءوف رحيم، وعزيز عليه ما يُعنتهم ويؤلمهم، فلم تأخذه سجيته هذه وعاطفته أن يغير مدلول النص والشرع.

فما أشد التزامك يا أول المؤمنين يا سيد الثقلين!

ولننظر إلى الحوار كاملاً.

قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره:

قال ابْنُ عبَّاس: خَوْلَةُ بنْتُ خُوَيْلد الْخَزْرَجيَّة، كانَتْ تَحْتَ أَوْس بْن الصَّامت أَخُو عُبَادَة بْن الصَّامت، وَكَانَتْ حَسَنَةَ الْجسْم، أَرادَهَا يومًا للجماع فأَبَتْ، فَغَضبَ عَلَيْهَا- قَالَ عُرْوَةُ: وكَانَ امْرأً به لَمَم (بعض جنون)؛ فَأَصابَهُ بَعْضُ لَمَه فقَالَ لَهَا: أَنْت عَلَيَّ كَظَهْر أُمّي. وَكَانَ الْإيلاءُ وَالظّهَارُ من الطَّلاق في الْجاهليَّة، فَسَأَلت النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَال لَهَا: حَرُمْت عَلَيْه، فَقَالَتْ: والله مَا ذكر طلاقا، ثُمَّ قَالَتْ: أَشْكو إلَـى الله فَاقَتي وَوَحْـدَتـي وَوَحْشَتي وَفـرَاقَ زَوْجـي وَابْـن عَمّي وَقَـدْ نَفَضْتُ لَهُ بَطْني، (تعني: أنها أنجبت كل ما في بطنها من الولد)؛ فقَال -صلى الله عليه وسلم-: حَرُمْت عَلَيْه، فما زالت تراجعه ويراجعها حَتَّى نَزَلَتْ عَلَيْه الْآيَةُ.

وَرَوَى الْحَسَنُ: أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُول الله! قَدْ نَسَخَ اللهُ سُنَنَ الْجَاهليَّة وَإنَّ زَوْجي ظَاهَرَ منّي، فَقَالَ رَسُولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: " ما أوحى إلي في هذا شيء، فَقَالَتْ: يَا رَسُول الله، أوحي إلَيْكَ في كل شيء وَطويَ عَنْكَ هذا؟! فقال: هُوَ مَا قُلْتُ لَكَ" فقالَتْ: إلى الله أَشْكُو لا إلى رسوله. فأَنْزَل الله تعالى: "قَدْ سَمعَ اللهُ قَوْلَ الَّتي تجادلك في زَوْجها وَتَشْتَكي إلى الله" الْآيَةَ. (تفسير القرطبي (١٧/ ٢٧٠).

وفي رواية عند الطبري تفيد طول مكثها عند زوجها وضيق الحال بينهما. قالت: "يا رسول الله؛ إن أوسا

ظاهر مني، وإنّا إن افترقنا هلكنا، وقد نثرت بطني منه، وقدمتُ صحبته، فهي تشكو ذلك وتبكي".

ولشدة فقر هذه المرأة وفقر زوجها: "خرجت إلى جارة لها، فاستعارت ثيابها، فأتت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى جلست بين يديه، فذكرت له أمرها، فما برحتْ حتى نزل الوحي على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ونزلت الكفارة فقالت هي عن زوجها: لا يقدر على ذلك، فقال -صلى الله عليه وسلم-: إنّا سنعينه على ذلك بفَرَقٍ من تمر، قالت: وأنا أعينه بفرقٍ آخر، فأطعم ستين مسكينًا" انتهى.

وفي تفسير عبد الرزاق يظهر إصرار النبي -صلى الله عليه وسلم- على الالتزام بما أوحي إليه لا يتجاوزه قدر أنملة، فقد ذكر عبد الرزّاق عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّ الرَّجُلَ قَالَ: وَاللَّهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا أَجِدُ رَقَبَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: «مَا أَنَا بِزَائِدِكَ». (يعني ما عندي البديل الزائد عما قلت لك) فأَنْزَلَ اللَّهُ: «فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا» (المجادلة: ٤) فقال: وَاللَّه يا نبيَّ الله: مَا أُطِيقُ الصَّوْمَ، إِنِّي إِذَا لَمْ آكُلْ فِي الْيَوْمِ كَذَا وَكَذَا أَكْلَةً لَقِيتُ وَلَقِيتُ، فَجَعَلَ يَشْكُو إِلَيْهِ، فَقَالَ -صلى اللَّه عليه وسلم-:" مَا أَنَا بِزَائِدِكَ فَنَزَلَتْ". «فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا» (المجادلة: ٤).

والناظر فيما تقدم يرى إصرار النبي -صلى الله عليه وسلم- على الوقوف على ما أوحي إليه دونما تزحزح عنه رغم صعوبة ما يرى من أحوال أصحابه. فقوله -صلى الله عليه وسلم- لها مكررًا: "حَرُمْتِ عليه، حَرُمْتِ عليه، ما أُوحي إلي في هذا شيء، هُو مَا قُلْتُ لكِ"، وقوله لزوجها أيضًا: "ما أنا بزائدك، ما أنا بزائدك"، يدل على تمسكه الشديد بنصوص الوحي مهما اشتد الأمر وعَظُم الخَطْب.

إن النبي -صلى الله عليه وسلم- يحقق في ذلك أمر الله تعالى له: وهو أمر يشمل الأمة جميعًا، وذلك قوله جل وعلا: " فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ "(هود: ١١٢). ومثْله قول الله تعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام كما حكى القرآن الكريم: " مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ " (المائدة: ١١٧).

تصحيح النبي -صلى الله عليه وسلم- الخطأ مهما كان ضئيلاً:

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: "إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ". قَالَ: فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَلَمَّا بَلَغْتُ: اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، قُلْتُ: وَرَسُولِكَ، قَالَ: «لَا، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ». (صحيح البخاري ح٢٤٧).

وهنا يظهر أيضًا تمسُّك النبي -صلى الله عليه وسلم- بالوحي لا يُغيِّره ولو في كلمة واحدة، لأن ما ينطق به ما هو إلا وحي يوحى إليه من ربه تبارك وتعالى.

قال ابن بطال رحمه الله تعالى: قوله -صلى الله عليه وسلم-: "ونبيك الذي أرسلت" حجة لمن قال: إنه لا يجوز نقل حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- على المعنى دون اللفظ، وهو قول ابن سيرين، ومالك وجماعة من أصحاب الحديث. وقال المهلب: إنما لم تبدل ألفاظه -صلى الله عليه وسلم- لأنها ينابيع الحكمة، وجوامع الكلام، فلو جُوِّز أن يُعبر عن كلامه بكلام غيره سقطت فائدة النهاية في البلاغة التي أعطيها -صلى الله عليه وسلم-. (شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/ ٣٦٥).

وقال ابن حجر رحمه الله: "وَأَوْلَى مَا قِيلَ فِي الْحِكْمَةِ فِي رَدِّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَلَى مَنْ قَالَ لَفْظَ الرَّسُولِ بَدَلَ النَّبِيِّ: أَنَّ أَلْفَاظَ الْأَذْكَارِ تَوْقِيفِيَّةٌ وَلَهَا خَصَائِصُ وَأَسْرَارٌ لَا يَدْخُلُهَا الْقِيَاسُ، فَتَجِبُ الْمُحَافَظَةُ عَلَى اللَّفْظِ الَّذِي وَرَدَتْ بِهِ. وَهَذَا اخْتِيَارُ الْمَازِرِيِّ، قَالَ: فَيُقْتَصَرُ فِيهِ عَلَى اللَّفْظِ الْوَارِدِ بِحُرُوفِهِ، وَقَدْ يَتَعَلَّقُ الْجَزَاءُ بِتِلْكَ الْحُرُوفِ، وَلَعَلَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ فَيَتَعَيَّنُ أَدَاؤُهَا بِحُرُوفِهَا. (فتح الباري لابن حجر ١١/ ١١٢).

وهذا ما التزمه النبي -صلى الله عليه وسلم- في عدم تغيير لفظ واحد في النص ولو جيء بمرادفه.

قال الشوكاني رحمه الله تعالى: وَهَذَا مُسَلَّمٌ فِي التَّعَبُّدِ بِالْأَلْفَاظِ لِأَنَّ الْعُدُولَ إِلَى لَفْظٍ آخَرَ

لا يتحققُ معهُ الامتثالُ. (نيل الأوطار ٢ / ٣٥٧).
ومما سبق يتبين أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما أصر على تعديل لفظ الرسول إلى لفظ النبي من تلقاء نفسه، لأنـه كما قال عنه ربه عز وجل: "وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ" (النجم: ٣، ٤).

قصة اية الملاعنة

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهما أَنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ رضي الله عنه قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- بِشَرِيكِ بْنِ سَحْمَاءَ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- لهلال: «الْبَيِّنَةَ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا؛ يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيِّنَةَ؟ فَجَعَلَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: «الْبَيِّنَةَ وَإِلَّا حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ»؛ فَقَالَ هِلَالٌ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ، فَلَيُنْزِلَنَّ اللَّهُ مَا يُبَرِّئُ ظَهْرِي مِنَ الْحَدِّ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: «وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ» (النور: ٦) فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ: «إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ» (النور: ٩). فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَجَاءَ هِلَالٌ فَشَهِدَ، وَالنَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ؟» ثُمَّ قَامَتْ فَشَهِدَتْ، فَلَمَّا كَانَتْ عِنْدَ الْخَامِسَةِ وَقَّفُوهَا، وَقَالُوا: إِنَّهَا مُوجِبَةٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَلَكَّأَتْ وَنَكَصَتْ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا تَرْجِعُ، ثُمَّ قَالَتْ: لَا أَفْضَحُ قَوْمِي سَائِرَ الْيَوْمِ، فَمَضَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: «أَبْصِرُوهَا، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ، سَابِغَ الْأَلْيَتَيْنِ، خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ، فَهُوَ لِشَرِيكِ بْنِ سَحْمَاءَ»، فَجَاءَتْ بِهِ كَذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: «لَوْلَا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ» (صحيح البخاري ح٤٧٤٧).

وفي تكرار قول النبي -صلى الله عليه وسلم- لهلال رضي الله عنه: «الْبَيِّنَةَ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ»؛ التزام بما عليه الشرع حتى تلك اللحظة، مع أن هلالا قال كلامًا منطقيًا عقليًا جدًا، قال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلًا ينطلق يلتمس البينة؟ والنبي -صلى الله عليه وسلم- نفسه يفهم كلام هلال ومنطقه، لكن الذي يلتزم به النبي -صلى الله عليه وسلم- أكثر أنه لا اجتهاد مع النص، ولا يغلب العقل النقل، ولا يُقدَّم عليه، ولا يُضرب لله الأمثال، إنما روح النصوص في الامتثال. فأنزل الله ما يوافق منطق هلال حيث قال للنبي -صلى الله عليه وسلم-: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ، فَلَيُنْزِلَنَّ اللَّهُ مَا يُبَرِّئُ ظَهْرِي مِنَ الْحَدِّ. فلما نزلت آية اللعان دار النبي -صلى الله عليه وسلم- مع الحق حيث دار، وسار مع النص حيث سار. فأقام الملاعنة بين الزوجين وأجرى جميع أحكامها.

ومما يُظهر بوضوح أكثر التزام النبي -صلى الله عليه وسلم- للنص وعدم العدول عنه مثقال ذرة: أن المرأة زوجة هلال لما كانت عند الخامسة وَقَّفُوهَا، وقالوا: إنها مُوجِبَةٌ، وتلكأت ونكصت، حتى ظنوا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم، وكل هذا من شواهد ثبوت التهمة، ومع ذلك مضى النبي -صلى الله عليه وسلم- معها في شهادتها امتثالًا للنص، وأكثر من هذا أيضا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لأصحابه: «أَبْصِرُوهَا، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ، سَابِغَ الْأَلْيَتَيْنِ، خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ، فَهُوَ لِشَرِيكِ بْنِ سَحْمَاءَ»، فجاءت به كذلك. ومع هذا فإن النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- لم يزل مرتبطا بالنص فقال: «لَوْلَا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ».

قال المباركفوري رحمه الله تعالى: وَلَوْلَا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مِنْ بَيَانٍ؛ أَيْ لَوْلَا مَا سَبَقَ مِنْ حُكْمِهِ بِدَرْءِ الْحَدِّ عَنِ الْمَرْأَةِ بِلِعَانِهَا (لَكَانَ لَنَا وَلَهَا شَأْنٌ)؛ أَيْ فِي إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهَا، وَالْمَعْنَى لَوْلَا أَنَّ الْقُرْآنَ حَكَمَ بِعَدَمِ الْحَدِّ عَلَى الْمُتَلَاعِنَيْنِ وَعَدَمِ التَّعْزِيرِ لَفَعَلْتُ بِهَا مَا يَكُونُ عِبْرَةً لِلنَّاظِرِينَ وَتَذْكِرَةً لِلسَّامِعِينَ. (تحفة الأحوذي ٩/ ٢١).

إنه النبي -صلى الله عليه وسلم- القدوة الحسنة في أبهى وأعلى صورها، وللمسلمين فيه الأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا.

والحمد لله رب العالمين.

تقوى الله طريق النجاة

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِه وَصَحْبِه أَجْمَعِين.

وبعد: فإن تقوى الله تعالى هي طريق الفَلاح والنجاة للمسلم في الحياة الدنيا ويوم القيامة، وفي هذه المقالة توضيح لمعنى التقوى وعلامتها. فأقول وبالله تعالى التوفيق:

إعداد الشيخ/ صلاح نجيب الدق

فرع بلبيس

معنى التقوى:

التَّقْوَى في اللغة: مَعْنَاهَا: الْوِقَايَةُ والحَذَرُ. يُقَالُ: اتَّقَيْتُ الشَّيْءَ: أي: حَذِرْتُهُ. (لسان العرب ـ جـ١٥، صـ٤٠١). تَقْوَى الله: تعني الخوف مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في السر والعَلانِية، وذلك بفِعل ما أَمَرَ الله به واجتناب ما نهى عنه.

التقوى وصية الله لعباده:

قال الله سبحانه وتعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران:١٠٢)، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ) (النساء:١٣١)، وقال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ) (الحشر:١٨).

التقوى وصية الله لنبينا صلى الله عليه وسلم:

قال الله سبحانه وتعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا) (الأحزاب١:٣)؛ قال الإمَامُ ابنِ جرير الطبري (رَحِمَهُ الله): يَقُولُ تعالى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّه مُحَمَّد صَلَّى الله عَلَيه وَسَلَّمَ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ الله بِطاعَتِه

وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَوَاجِبِ حُقُوقِهِ عَلَيْكَ وَالانْتِهَاءِ عَنْ مَحَارِمِهِ وَانْتِهَاكِ حُدُودِهِ. (تفسير الطبري، جـ١٩، ص٥).

نبينا صلى الله عليه وسلم يطلب التقوى من الله تعالى

عَنْ ابنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى. (مسلم: ح٢٧٢١).

نبينا صلى الله عليه وسلم يوصينا بتقوى الله تعالى

عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا. (مسلم: ح١٧٣١)

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ. (مسلم: ح٢٧٤٢).

نبينا صلى الله عليه وسلم يوصينا بمصاحبة الأتقياء:

عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً. (البخاري: ح٥٥٣٤، ومسلم: ح٢٦٢٨).

تقوى الله هي الوصية الأخيرة للنبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين:

عَنْ عَلِيِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ آخِرُ كَلَامِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم: الصَّلَاةَ، الصَّلَاةَ اتَّقُوا اللهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيمَانُكُمْ. (صحيح أبي داود للألباني: ح٤٢٩٥)

أقوال السلف الصالح في التقوى والمتقين:

كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ اللهِ: أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّقَاهُ وَقَاهُ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ جَزَاهُ، وَمَنْ شَكَرَهُ زَادَهُ، وَاجْعَلِ التَّقْوَى نُصْبَ عَيْنَيْكَ وَجَلَاءَ قَلْبِكَ. (جامع العلوم ـ لابن رجب ـ جـ١ ـ صـ٤٠٦).

تقوى الله تعالى في السر والعلانية:

خشيةُ الله تعالى هي سبيل النجاة في الدنيا والآخرة، ولذلك فإن عباد الرحمن المتقين هُم أشد الناس خشية لله تعالى في السر والعلانية؛ قال سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) (الملك:١٢)، وعَنْ أَبِي ذَرٍّ الغفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: اتَّقِ اللهِ حَيثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ. (حديث حسن) (صحيح الترمذي ـ للألباني: ح١٦١٨).

الله تعالى يحب عباده المتقين:

قال الله سبحانه وتعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) (التوبة: ٧)، وعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ. (مسلم: ح ٢٩٦٥).

الله تعالى يرحم عباده المتقين:

قال الله تعالى: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ)

(الأعراف: ١٥٦).

التقوى هي الميزان للتفاضل بين الناس:

اللّه تَعَالَى جَعَلَ التقوى هِي الميزان الحق الذي يُوزَنُ به الناس، لا ميزان الحَسَبِ وَالنَّسَبِ والمال والشهرة؛ قال سبحانه: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ) (الحجرات: ١٣).

تقوى الله طريق تفريج الكربات:

قال اللّه سبحانه وتعالى: (وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا (٢) وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ) (الطلاق ٢). (تفسير ابن كثير. جـ٨. صـ ١٤٦).

وقال جل شأنه: (وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا) (الطلاق: ٤)؛ قَالَ الإمامُ ابن كثير: أي: يُسَهِّلُ لَهُ أَمْرَهُ، وَيُيَسِّرُهُ عَلَيه، وَيَجْعَلُ لَهُ فَرَجًا قَرِيبًا وَمَخْرَجًا عَاجِلًا. (تفسير ابن كثير. جـ٨. صـ١٥٢).

تقوى الله طريق زيادة الأرزاق:

قال تعالى: (وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ) (الأعراف: ٩٦).

تقوى الله طريق النصر والنجاة من الأعداء:

قال تعالى: (ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ (١٧٣) فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ) (آل عمران: ١٧٣، ١٧٤).

تقوى الآباء تنفع الأبناء في الدنيا:

قال اللّه تعالى: (وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا) (النساء: ٩)، وقال سبحانه: (وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ) (الكهف: ٨٢)، وقَوْلُهُ: (وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا): فيه مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللّه تَعَالَى يَحْفَظُ الصَّالِحَ فِي نَفْسِه وَفِي وَلَدِهِ وَإِنْ بَعُدُوا عَنْهُ) (تفسير القرطبي. جـ ١١. صـ٤٣).

التقوى طريق تحصيل العلم النافع:

قال اللّه تعالى: (وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ) (البقرة: ٢٨٢)؛ قَالَ الإمَامُ القرطبي (رَحِمَهُ اللّه): وَعْدٌ مِنَ اللّه تَعَالَى بِأَنَّ مَن اتَّقَاهُ عَلَّمَهُ، أَي يَجْعَلُ فِي قَلْبِهِ نُورًا يَفْهَمُ بِهِ مَا يُلْقَى إِلَيه، وَقَدْ يَجْعَلُ اللّه فِي قَلْبِهِ ابْتِدَاءً فُرْقَانًا، أَي فَيصَلًا يَفْصِلُ بِهِ بَينَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. (تفسير القرطبي. جـ٣. صـ٤٠٦).

الصداقة بين المتقين دائمة في الدنيا والآخرة

الصداقة بين عباد اللّه المتقين ومحبتهم لبعضهم دائمة في الدنيا والآخرة، وكل صحبة غيرها فإنها تنقلب يوم القيامة إلى عداوة؛ قال اللّه سبحانه وتعالى: (ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۢ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ (٦٧) يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ (٦٨) ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا) (الزخرف: ٦٧)، قَالَ الإمَامُ ابن كثير (رَحِمَهُ اللّه): كُلُّ صَدَاقَةٍ وَصَحَابَةٍ لغَيرِ اللّه فَإِنَّهَا تَنْقَلِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدَاوَةً إِلَّا مَا كَانَ للّه، عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّهُ دَائِمٌ بِدَوَامِهِ. (تفسير ابن كثير. جـ١٢. صـ٣٢٤).

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلّه رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الحلقة 1

نظرات في حياة شيخ الإسلام ابن تيمية

إعداد د. السيد عبد الحليم محمد حسين

من قدامى علماء أنصار السنة المحمدية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى من اتبع هداه، إلى يوم أن نلقاه.

وبعـد: فيتسنم ابن تيمية رأس قمة من قمم الفكر الإسلامي، كواحد من أبرز المصلحين والمجاهدين؛ فقد ظهر في عصر مضطرب، زاخر بالدعوات والنظريات، في أواخر القرن السابع، وأوائل القرن الثامن الهجري، فلم يلبث أن انتدب نفسه لتصحيح المفاهيم، وردّ الحقائق إلى أصولها، وكشف الزيوف والعناصر المختلفة المتضاربة، وعمد في إصرار إلى حلّ تعقيدات التعصب، والأوهام والتلبيسات، التي أُدخلت إلى الفكر الإسلامي مفاهيم منحرفة.

وقد استطاع -بقوة عارضته، وبراعة حواره، وعمق جدله-: أن يُفحم خصومه، وأن يردَّ الأمـور إلـى نصابها، وأن يُجرِّد الحقائق مما أُضيف إليها من دخائل، في سماحة من غير تعصُّب، وفي علم من غير سفسطة، وفي اعتصام بالحق وحده، مقيمًا فكرته على أساس إنسانية الإنسان، وتحرير الرأي من قيود الشعوبية، وأوهام التقليد، وتجديد الشريعة.

ففتح بذلك آفاق الاجتهاد، وقضى على التعصب المذهبي، وأعاد الحياة إلى موازين البحث... لم يكن عمله هذا هينًا، ولا بسيطًا، ولا مما يُفضَل أثره في ظل عصر مضطرب، يقع في نهاية غزوة من غزوات التتار، وفي مقدمة غزوة أخرى.

فقد زحف المغول على بغداد قبل مولده، فما أن بلغ مبلغ الرجال حتى واجه الغزوة الثانية على حدود دمشق، وجاهَد في مقاومتها.

إننا أمام عقل كبير مُفكِّر، وقلب خاشع ومتبتل، وبطل محارب متمرس، يقتحم المنايا غير هيّاب، وداعية صبور لا يهدأ، وعالم جريء لا يهاب، وجلد صبور، لا يَكلّ ولا يَمَلّ، لا تُثنيه المحنة، ولا تُغريه النعمة، وزاهد في حطام الأرض، بل يبتغي جنة عرضها السماوات والأرض، إنه شيخ الإسلام، وبطله الهمام، الذي نشرف بصحبته، في الرحلة الآتية: الإمام ابن تيمية رحمه الله.

عصر ابن تيمية ونشأته:

وُلد أحمد بن عبد الحليم تقي الدين بن تيمية في حران، الواقعة بين دجلة والفرات عام ٦٦١هـ. واضطر والده أن يهاجر به وبإخوته من حران إلـى دمشق، هربًا من التتار، ولما بلغوا دمشق أقاموا بها. وفيها تفتّح ابن تيمية على الفكر والعلم، وبلغ في تحصيل العلوم قدرًا كبيرًا. فقد كان قوي الذكاء، جيد الحفظ.

صفاته:

كان ابن تيمية مهيبًا، أبيض اللون، أسود شعر الرأس واللحية، ربعة في الرجال، بعيد ما بين المنكبين، جهير الصوت، فصيحًا، واسع العينين، كأنما هما لسانان ناطقان.

سخاؤه وورعه:

١- كان سخيًا كريمًا، إذا أتاه طالب حاجة، سارع إلى قضائها.

٢- كان شديد الإيثار مع فقره.

٣- كـان يتصدق حتى إذا لم يجد شيئًا نزع ثيابه، فوصل بها الفقراء، ويستفضل عن قوته الرغيف والرغيفين.

٤- قال صفي الدين البخاري: «أما ورعه، فكان من الغاية التي لا ينتهى إليها من الـورع. فما خالط الناس في بيع ولا شراء، ولا معاملة ولا تجـارة، ولا كان ناظرًا أو مباشرًا لمال. ولا نقل جراية، ولا صلة لنفسه، من سلطان أو أمير، أو تاجر، ولا كان مدخرًا دينارًا، ولا درهمًا، ولا متاعًا ولا طعامًا، ولا زاحم في طلب الرياسات، ولا رُئـيَ ساعيًا في تحصيل المباحات، مع أن الملوك، والأمراء، والتجار، والكبراء، كانوا طَوْع أمره، خاضعين لقوله».

٥- وقـال ابـن فضل الله العمري: «إنـه كانت تأتيه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، فيهب ذلك بأجمعه، ويضعه عند أهل الحاجة في موضعه، ولا يأخذ منه شيئًا إلا ليهبه، ولا يحفظه إلا ليذهبه».

جرأته:

١- كان ابن تيمية نسيجًا وحده في الخُلُق، من ذلك الصنف الـذي لا يـؤمن

بالمجاملة، ﻓﻲ سبيل الحق الذي يعتقده، بل كان يقول رأيه ﻓﻲ صراحة، وجرأة، دون أن يبالي غضب الناس، أو الحكام، أو العلماء، وقد أتعب الجند، وحيّر الفقهاء، وألفه السجّانون.

٢- وقد عُرف بإعراضه عن طلب الرياسات، ولم يقبل أن يكون ظلًّا لأمير أو سلطان، بل لقد ظل حياته يرفض أعطياتهم.

٣- ولقد أغرى به خصومه العامة والرعاع بالضرب والإيذاء، وأغروا به الحكام والأمراء، فكان يغضي ﻓﻲ سماحة وخُلق ويعفو.

٤- لقد جاءت الظروف بتولي أنصاره، ورفض أن ينكّل بخصومه، حتى قال أحدهم: "ما رأينا أعفى من ابن تيمية، لم نُبق ممكنًا ﻓﻲ السعي عليه، وحين قدر علينا بادر بالعفو".

أنا حاللت كل من آذاني:

١- كانت شخصيته صابرة متصدرة، قوية العارضة ﻓﻲ مجالسها ومعاركها، فلطالما قارع الأحداث، والدسائس، وخرج منها سالمًا.

٢- كانت تُعقد المجالس لامتحان عقيدته، فيمرّ منها إلى الحرية، أو إلى السجن.

٣- ولما خرج من السجن، ودعاه السلطان إليه ﻓﻲ محفل كبير، كان يقول لكل من خاصمه، ويتقدم ليعتذر إليه، كلمة واحدة: «أنا حاللت كل من آذاني».

شخصيته:

أما شخصية ابن تيمية وشمائله، فآية الآيات ﻓﻲ الرجولة، والبطولة، والوفاء.

١- يقول الذهبي: «لو حلفت بين الركن والمقام، لحلفت ما رأيت بعيني مثله.. وإن له خبرة تامة بالرجال، وجرحهم، وتعديلهم، وطبقاتهم، ومعرفة بفنون الحديث، وبالعالي، والنازل، والصحيح، والسقيم، مع حفظه لمتونه، فلا يبلغ أحد ﻓﻲ العصر رتبته أو يقاربه... وله ﻓﻲ استحضار الآيات من القرآن، وقت إقامة الدليل بها على المسألة قوة عجيبة».

ويقول: «لقد نصر السُّنة، والطريقة السلفية، واحتجّ لها ببراهين ومقدمات لم يُسبَق إليها، وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون، وحاربوها.

ولا يعرف أنه ناظر أحدًا فانقطع معه، ولا تكلم ﻓﻲ علم من العلوم إلا فاق أهله... ولم يعرف تاريخ الإسلام لسانًا أحد منه على خصوم الإسلام».

٢- كان نادرة زمانه ﻓﻲ قوة حافظته.. وآية ذلك رسائله التي ألفها ﻓﻲ سجنه، أو طريقه. بعيدًا عن المراجع والمصادر.

٣- حدّث عن نفسه أنه ليقف خاطره ﻓﻲ المسألة، أو الشيء، أو الحالة، التي تشكل عليه.. فيستغفر الله تعالى، حتى ينشرح صدره، وينجلي إشكال ما أشكل.

٤- قيل: إنه سُئل مرة نظمًا ﻓﻲ لغز عن الأسد، فأجاب حالًا بقصيدة له ﻓﻲ مائة بيت، أو تزيد عن اللغز.

٥- بلغ ما كتبه ﻓﻲ التفسير نحوًا من ثلاثين مجلدًا، ضاع أغلبه خلال اضطهاده؛ إذ كانوا يبحثون عنه ليحرقوه، ولما حُبِس تفرّق أتباعه، وتفرقت كتبه.

وللحديث بقية إن شاء الله.

الحلقة 1

رد شبهة اللئيم عن النبي الكريم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد ذكرنا في العدد السابق زواج النبي صلى الله عليه وسلم بأم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها. وذكرنا أن في هذا الخبر وقفات لا بد منها. سبق منها في العدد السابق اثنتان، الأولى: التعريف بزينب رضي الله عنها، الثانية: مناقبها وفضائلها.

إعداد **د. سيد عبد العال**

الثالثة: رد شبهة عن النبي صلى الله عليه وسلم:

وذلك أنهم زعموا: أنه صلى الله عليه وسلم رآها متكشفة؛ فأعجب بها وأحبها، وهي تحت زيد، وكتم ذلك، ولم يصرِّح به، ثم تزوجها بعد أن كانت زوجة ابنه، وفوق ذلك أقره الله على ما فعل، بل عاتبه لمَ يُخفي هذا والله سيُبديه!

وقد تلقف أعداء الإسلام هذا الكلام يطعنون به في عصمة النبي صلى الله عليه وسلم؛ فتارة يقولون: كيف رآها؛ وتارة يقولون: كيف تزوجها وهي زوجة ابنه، ولما كانت عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من صميم العقيدة وجب علينا: أن نجلي الأمر في الرد على هذه الشبهة.

وأول ذلك بيان بطلان الروايات التي تثبت ذلك البهتان، ويكون في ثلاثة محاور

الأول: سرد أشهر الروايات وبيان بطلانها وعدم ثبوتها.

الرواية الأولى: عن محمد بن يحيى بن حبان، قال: جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت زيد بن حارثة يطلبه، وكان زيد إنما يقال له: زيد بن محمد، فربما فقده رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعة فيقول: "أين زيد؟" فجاء منزله يطلبه، فلم يجده، وتقوم إليه زينب بنت جحش زوجته فُضُلًا -أي: وهي لابسة ثياب البيت-، فأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها، فقالت: ليس هو هاهنا يا رسول الله فادخل بأبي أنت وأمي،

فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل، وانما عجلت أن تلبس لما قيل لها: رسول الله صلى الله عليه وسلم على الباب فوثبت عجلى، فأعجبت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فولى وهو يهمهم بشيء لا يكاد يُفهَم منه إلا: سبحان مصرِّف القلوب.

فجاء زيد إلى منزله، فأخبرته امرأته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى منزله، فقال زيد: ألا قلت له أن يدخل؟ قالت: قد عرضت ذلك عليه فأبى، قال: فسمعت شيئًا؟ قالت: سمعته يقول حين ولّى تكلم بكلام لا أفهمه، وسمعته يقول: "سبحان الله العظيم، سبحان مصرف القلوب"، فجاء زيد حتى أتى رسول الله، صلى الله عليه وسلم؛ فقال: يا رسول الله بلغني أنك جئت منزلي فهلّا دخلت بأبي وأمي يا رسول الله، لعل زينب أعجبتك فأفارقها؟ فيقول رسول الله: "أمسك عليك زوجك"، فما استطاع زيد إليها سبيلًا بعد ذلك اليوم، فيأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فيخبره، فيقول رسول الله صلى الله عايه وسلم: "أمسك عليك زوجك"، فيقول: يا رسول الله أفارقها، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "احبس عليك زوجك"، ففارقها زيد واعتزلها وحلّت -يعني انقضت عدتها- ...الخ.

والجواب: أن الرواية موضوعة؛ فلا حجة فيها.

أخرجها ابن سعد في الطبقات (٨/ ١٠١) من طريق محمد بن عمر عن عبد الله بن عامر الأسلمي، عن محمد بن يحيى بن حبان به.

واسناد هذه الرواية فيه علل ثلاث، واحدة منها تكفي لرد هذه الرواية:

العلة الأولى: أنها مرسلة، فمحمد بن يحيى (ت ١٢١ هـ) وعمره (٧٤ سنة) وعلى هذا فمولده في نحو سنة (٤٧)، فهو لم يدرك القصة قطعًا ولم يذكر من حدثه بها. التهذيب (٩/ ٤٤٧).

العلة الثانية: عبد الله بن عامر الأسلمي، قال فيه البخاري: ذاهب الحديث، وقال ابن معين: ضعيف ليس بشي. التهذيب (٥/ ٢٤١).

العلة الثالثة: محمد بن عمر الواقدي، متروك مع سعة علمه. تقريب التهذيب (٦١٧٥).

وقال البخاري: الواقدي مدني سكن بغداد، متروك الحديث، تركه أحمد بن المبارك وابن نمير واسماعيل بن زكريا، وقال في موضع آخر: كذّبه أحمد، وقال معاوية بن صالح قال لي أحمد بن حنبل: الواقدي كذاب. تهذيب التهذيب (٩/ ٣٦٤).

فهذا حال سند الرواية ومثل هذا يقال فيه: موضوع مع ما المتن من شناعة لا تليق بعصمة النبي صلى الله عليه وسلم.

الرواية الثانية: عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد زوّج زيد بن حارثة زينب بنت جحش، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا يريده وعلى الباب ستر من شعر، فرفعت الريح الستر؛ فانكشفت، وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم، فلما وقع ذلك كرهت الآخر، فجاء فقال: يا رسول الله إني أريد أن أفارق صاحبتي، قال: "ما لك؟ أرابك منها شيء؟ "قال: لا والله ما رابني منها شيء يا رسول الله، ولا

رأيت إلا خيرًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمسك عليك زوجك واتق الله، فذلك قول الله تعالى: «وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ... »، تخفي في نفسك إن فارقها تزوجتها.

الرد على هذه الرواية: هذه الرواية موضوعة. أخرجها ابن جرير في تفسيره (٢٢/ ١٣) عن يونس، عن ابن وهب عن ابن زيد، وذكره، وهذا إسناد ضعيف جدًا وفيه علتان:

العلة الأولى: أنها معضلة، عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مات سنة ثنتين وثمانين ومائة وعده ابن حجر من الثامنة فليس بصحابي ولا تابعي، فقد سقط من الإسناد راويان أو أكثر.

العلة الثانية: أن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف جدًا، وقد صرح بعضهم: أنه متروك، وقال البخاري وأبو حاتم: ضعّفه عليّ بن المديني جدًا، وقال ابن حبان: استحق الترك، وقال ابن طاهر وابن معين: "ليس بشيء"، وقال ابن حجر: ضعيف متروك. المجروحين (٢/ ٥٧)، والتهذيب (٦/ ١٦١)، وتلخيص الحبير (١/١٦١).

الرواية الثالثة: عن أنس رضي الله عنه قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم منزل زيد بن حارثة؛ فرأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- امرأته زينب، وكأنه دخله شيء ... الخ.

الرد على الرواية:

هذا حديث منكر؛ أخرجه أحمد في مسنده (١٢٥١١) عن مؤمل بن إسماعيل عن حماد بن زيد، عن ثابت ... ومؤمل بن إسماعيل: قال البخاري: منكر الحديث. اهـ وهو كثير الخطأ يجب مجانبة ما ينفرد به. تحرير تقريب التهذيب (٧٠٢٩).

فهكذا حال مؤمل لو انفرد؛ فكيف وقد خالفه جماعة من الثقات عن حماد بن زيد؛ فرووا الحديث من غير ذكر لهذا الزيادة التي فيها ذهاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت زيد ومنهم:

١ - محمد بن أبي بكر المقدمي: ثقة. تقريب (٥٧٦١) وحديثه عند البخاري (٦٩٨٤).

٢ - أحمد بن عبدة الضبي: ثقة. تقريب (٦٤). وحديثه عند الترمذي (٣٢١٢).

٣ - محمد بن سليمان؛ لوين؛ ثقة. تقريب (٥٩٢٥). أخرجه النسائي في الكبرى (١١٤٠٧).

الرواية الرابعة: قال مقاتل: زوّج النبي صلى الله عليه وسلم زينب من زيد؛ فمكثت عنده حينًا، ثم إنه صلى الله عليه وسلم أتى زيدًا يومًا يطلبه، فأبصر زينب قائمة... وذكر نحوه.

الرد على الرواية: أن مقاتل بن سليمان كذاب: قال ابن حجر: كذّبوه وهَجَروه. اهـ وعليه فلا حجة في روايته ولا في قوله. التهذيب (١٠/ ٢٧٩ - ٢٨٥)، وتقريب التهذيب (٦٨٦٨).

الرواية الخامسة: قال ابن إسحاق: مرض زيد بن حارثة فذهب إليه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، وزينب جالسة عند رأس زيد، فقامت؛ لبعض شأنها، فنظر إليها صلى الله عليه وسلم... وذكر نحوه.

الرد على الرواية: وهذه مرسلة وابن إسحق لم يدرك الحكاية لأنه توفي سنة ١٥٠هـ،

ومراسيله واهية. تقريب التهذيب (٥٧٢٥).

ثانيا: بيان اضطراب الروايات في متونها:

ومنه تناقض الروايات المذكورة، ففي بعضها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زار زيد بن حارثة وهو غائب فاستقبلته زينب، وفي بعضها أن زيدًا كان مريضًا، فزاره رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان صلى الله عليه وسلم جالسًا هو وزيد وزينب، فكيف يكون زيد غائبًا ومريضًا في فراشه في وقت واحد! وفوق ذلك كله كيف يعاتبه الله كما تقول هذه الروايات؛ لأنه أخفى ذلك عن الناس ولم يعلن أنه يحب زوجة زيد، وأنه يود لو طلقها ليتزوجها؟ تَصَوّرُ مثل هذا كافٍ في ظهور بطلان هذه الروايات.

ثالثا: كلام بعض الأئمة المحققين:

لقد وقف العلماء أمام هذه الروايات موقفًا حازمًا صلبًا، فمنهم من ذكرها، وفندها، ومنهم من أضرب عنها صفحًا بعد الإشارة إلى ضعفها، ونكارتها.

ويرون: أن الصواب في سبب نزول الآية: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد أوحى الله إليه أن زيدًا يطلق زينب، وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها له، فلما تشكّى زيد للنبي صلى الله عليه وسلم خُلق زينب، وأنها لا تُطيعه، وأعلمه بأنه يريد طلاقها، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على جهة الأدب والوصية: اتق الله، أي في أقوالك، وأمسك عليك زوجك، وهو يعلم أنه سيفارقها، وهذا هو الذي أخفى في نفسه، ولم يُردْ أن يأمره بالطلاق، لما علم من أنه سيتزوجها، وخشي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلحقه قول من الناس في أن تزوج زينب بعد زيد وهو مولاه، وقد أمره بطلاقها؛ فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من أن خشي الناس في أمر قد أباحه الله تعالى له، وقد روي عن علي بن الحسين، والزهري، والسدي.

وذكر القرطبي: أن هذا القول هو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين، والعلماء الراسخين. وممن قال به: أبو بكر الباقلاني، وبكر بن العلاء القشيري، وابن حزم، والبغوي، وابن العربي، والثعلبي، والقاضي عياض، والواحدي، وأبو العباس القرطبي، وأبو عبد الله القرطبي، والقاضي أبو يعلى، وابن كثير، وابن القيم، وابن حجر، وابن عادل، والألوسي، والقاسمي، ورحمة الله بن خليل الرحمن الهندي، وابن عاشور، والشنقيطي، وابن عثيمين. الوعد المنجز (٥١).

قال ابن العربي: هذه الروايات كلها ساقطة الأسانيد. أحكام القرآن (٣/ ١٥٤٣).

وانظر: الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٩١)، وفتح الباري (٨/ ٥٢٤).

ومن المعاصرين الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ محمد أبو شهبة، والشيخ الخضري. موسوعة محاسن الإسلام (٨/ ٣٤٧)، والإسرائيليات في التفسير (٣٢٣)

هذا هو الوجه الأول في تفنيد هذه الشبهة، ونكمل الأوجه في العدد القادم، إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

صدر حديثاً

المجلد الجديد

بمقر مجلة التوحيد

١٢٠٠ جنيه

سعر الكرتونة بدلاً من

~~١٥٠٠~~ جنيه

لفترة محدودة

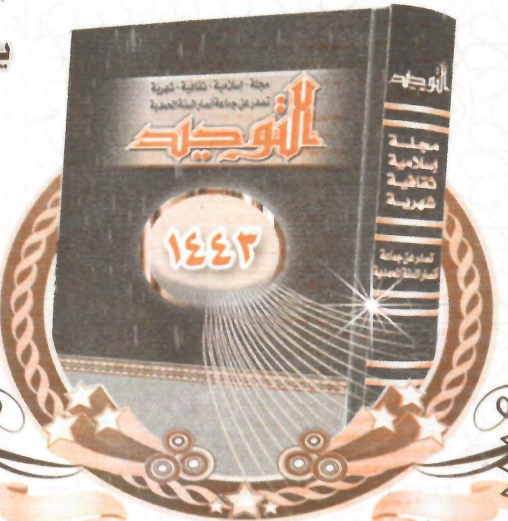
مجلة - إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
التوحيد
١٤٤٣
التوحيد
مجلة إسلامية ثقافية شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

يوجد مجلدات السنوات القديمة

سعر المجلد **٢٥** جنيه

بدلاً من **٥٠** جنيه

حتى عام ١٤٣٩ هـ

سعر المجلد الجديد

١٠٠ جنيه

هدايا قيمة

لأول ١٠٠ مشتر

لعام ١٤٤٣ هـ

الآن أصبحت 51 مجلداً من الموسوعة

للحصول على المجلدات والكرتونة الاتصال على قسم التوزيع

☎ واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

علم نافع لايستغني
عنها البيت المسلم»

التوحيد

التوحيد
الحج مشهد يوم عظيم !!
الهجر وضوابطه
شر البلية تشيع الصحفية !!
عام ينقضي ... وصفحة تطوى !!
السلفية صمام أمان للأمة
أنصار السنة المحمدية والانتخابات
حتى لا تغرق السفينة !!
الفتنة المقنعة
يا دعاة الأمة: الزموا السنة على منهاج النبوة

يسر مجلة التوحيد الإعلان عن عودة خدمة الاشتراكات الخاصة بالأفراد والمؤسسات على أن يكون سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنوياً.

☎ **للتواصل واتساب:٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢**

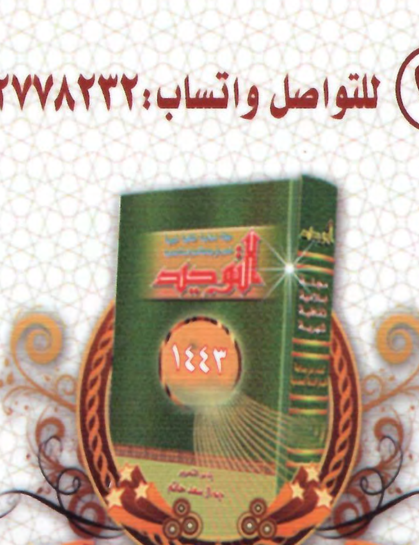
التوحيد
١٤٤٣